٣ أعلام الأدب الأمريكي

أرنست همنغواي

المكتبة الأهلية . بيروت

ارنست همنغواي

نشر بالاشتراك مع

مؤسسة فرنكلين المساهمة للطباعة والنشر

بيروت — نيويورك

١٩٦١

أعلام الأدب الأمريكي

- ٣ -

ارنست همنغواي

تأليف : فيليب يونغ

ترجمة : الدكتور محمود السمرة

•

منشورات المكتبة الأهلية - بيروت

المسهمون في اخراج هذا الكتاب

المؤلف : فيليب يونغ

استاذ الأدب الامريكي في جامعة بنسلفانيا الحكومية. نشر (رينهارت) عام ١٩٥٢ كتابه «ارنست همنغواي» كما نشر الكتاب ايضاً في انجلترة ، وترجم الى لغات عدة .

المترجم : الدكتور محمود السمرة

الحائز على درجة الدكتوراة في الآداب من جامعة لندن ونائب رئيس تحرير مجلة «العربي» . نشر عدداً من المقالات في المجلات الادبية ، وترجم كتاب « القصة السيكولوجية » لليون ايدل .

ارنست همنغواي

ان اول اقصوصة في اول كتاب لأرنست همنغواي -الذي هو حقاً اول كتاب ذي قيمة- هي اقصوصة « المعسكر الهندي » The Indian Camp . وهي تدور حول طبيب اسمه (أدامز) وابن له اسمه (نك) ، يذهبان الى معسكر للهنود في شمال (ميتشيغان) حيث يولّد الطبيب طفلاً بالعملية القيصرية مستعملاً سكيناً صغيرة دون بنج . اما زوج المرأة المولّدة فعليل يرقد على سرير معلق فوق زوجته العالية الصراخ . ويمسك (نك) الصبي اليافع ، بطشت لوالده ، بينما يمسك رجل وثلاث نساء الأم في مكانها حيث ترقد الى ان يولد الطفل . وعندما تنتهي ولادة الطفل ينظر الطبيب الى السرير فوق فيكتشف ان الزوج ، الذي اصغى الى صراخ زوجته مدة يومين قد كاد ان يقطع عنقه بموسى حلاقة .

والقراءة الدقيقة لهذه الاقصوصة ترينا ان همنغواي ليس مهتما اولاً هنا بهذه الاحداث المفزعة ، بل ان همه الاول هو تأثيرها في الصبي الصغير الذي شاهدها بعينيه . والواقع ان هذه

الاحـداث لا تبدو باديء ذي بدء ذات تأثير بالغ في الصبي ، ولكنا نجد بعد ذلك ان (نك أدامز) هذا نفسه قـد اصبح شابا هلوعاً عصبياً . وفي هذه الاقصوصة يطلعنـا همنغواي على سبب واحد من اسباب عدة تفسر ما صار اليه هذا الشاب .

ومن المحتمل جداً أن يكون مؤلف هذه الاقصوصة اكثر كتاب القصة الامريكيين الاحياء شهرة ، فأسلوبه و « بطله » (اعني الشخصيات الاولى في كثير من كتبه التي تشبه الواحدة منها الاخرى بحيث نتحدث عنهـا بصيغة المفرد) ، ومسلكه ووجهات نظره قد اكتسبت شهرة بالغة في كل انحـاء العالم . ومن الممكن ان يكون ايضاً ابعد الكتاب الذين يكتبون نثراً بالانجليزية في قرننا اثرا ، ففي كل بلد تقريباً عرفت فيه كتبه ، نجد انها قد استعملت فقلّدت ، او اعيد بناؤها او اقتبست . وبالاضافة الى هذا فقد اشتهر همنغواي بأنه انسان ذو شخصية غنية الالوان ، ولمدة تفوق ربع القرن كانت كل انطلاقة له تجد طريقها الى الصحف في حينها . ولكنه بقي زمناً طويلا يعز هو وكتبه عن الادراك التام . وما زال كلاهما حتى الآن غير مفهومين كما ينبغي ، ومن الأسباب الرئيسية لهـذا : العجز عن تبين محور اهتمام همنغواي في مثل اقصوصة « المعسكر الهندي »

وعدم فهم الكتاب الذي ظهرت فيه .

وقد ظهر هذا الكتاب عام ١٩٢٥ ويسمى « في عصرنا » In Our Time . ومن المحتمل جداً أن يكون المؤلف قد اراد من هـذا العنوان ان يكون اشارة ساخرة الى عبارة في كتاب الصلاة العامة لكنيسة انجلترة ، وهي : « هبنا السلام في عصرنا ، يا ربنا » . وعلى كل حال فان اكثر شيء يجبهنا في هذا الكتاب هو انـه لا وجود ابداً للسلام في جميع هذه الاقاصيص . اما ثاني امر يجبهنا فيها (دون ان يلحظه احـــد منذ زمن طويل لانه لم يكن واضحاً ان «نك» هو الشخصية الرئيسية في القصص التي يظهر فيها) فهو ان نصف هذه الاقاصيص مكرس لتطور مشوش ولكنه دقيق لشخصية مأزومة ـ صبياً أولاً ثم شاباً ـ اسم صاحبها (نك ادامز) . وهذه الاقاصيص مرتبة ترتيباً زمنياً فتبدأ بصبا (نك) ثم بشبابه ، وهي شديـــدة الترابط بعضها بالآخر . والحق يقال ان الكتاب من هذه الوجهة يمكن ان يكون « قصة » فبعض الاقاصيص لا يمكن فهمه اذا لم يـدرك القارىء نقطة وردت في اقصوصة سابقة ، وكثيراً ما تكون هذه النقطة خفية .

وفي هذا المجلد ست اقاصيص تدور حول (نك) . ولا

تبلغ اية واحدة منها العنف الموجود في « المعسكر الهندي » ، ولكنها كلها بطريقة او باخرى غير بهيجة ، او مزعجة . وفي احداها وهي « الطبيب وزوجه » يكشف (نك) انه غير واثق من شجاعة والده وانه غير راض ابداً عن الطريقة التي تنظر بها امه الى الاشياء . وهناك اقصوصتان هما « نهاية شيء ما » و « عاصفة تدوم ثلاثة ايام » تصفان باسهاب ، من ضمن ما تصفان، خاتمة محزنة لحب مراهق . وفي « المقاتل » يطوح عامل الفرملة بـ (نك) من على قطار شحن ، ويلتقي برجل مخبول كان ملاكما محترفاً فيوجعه ضربا ، بالاضافة الى زنجي متشرد ، بالغ الادب ، وهذا بدوره وبطريقته الخاصة اكثر منه شؤماً . ولا مندوحة للقارىء من ان يشك في ان (نك) قد تعرض لاكثر مما يطيق .

ويتلو اقصوصة « المقاتل » رأساً وصف مختصر لا يكاد يبلغ الصفحة ، يعين على توكيد هذا الشك ،فهو يخبرنا ان (نك) مشترك في الحرب العالمية الاولى ، وانه قد جرح وعقد « صلحاً منفرداً » مع العدو — انه لم يعد يحارب من اجل بلاده ، ولا من اجل اي شيء بعد الآن . ومهما قلنا عن اهمية هذا المنظر القصير في أي فهم لهمنغواي وكتبه ، فاننا لا نكون مغالين . وسنجده

مكرراً باسهاب اكثر وفي شخصية اخرى تدعى (فردريك هنري) في قصة « وداعاً ايتها الحرب » A Farwell to Arms كما انه سيكون ، بطريقة او بأخرى ، ذروة في حيوات كل ابطال همنغواي ، على مدى ربع القرن التالي على الاقل .

اما ان (نك) قد اصيب اصابة بالغة فواضح في ظاهرتين هامتين ، اولاهما ان جرحه يزداد سوءاً فتتجمع فيه كل الجراح التي عاناها عنـدما كان صبياً يحيا في منطقة الغرب الاوسط الامريكية . ومنذ هذا الحين سيبدو لنا بطل همنغواي رجلًا جريحاً ـ لا جريحاً جسمياً فقط بل ، كما سيتكشف لنا بعد قليل ، جريحاً نفسياً أيضاً . وثانيتهما هي الحقيقة القائمة وهي ان (نك) وصديقه الجريح ايضاً قد عقدا « صلحاً منفرداً » فكانا بهذا غير مخلصين لوطنهما ، وهـذه الواقعة تعيّن بداية انسلاخ طويل المدى عن المجتمع المنظم ككل ، وهو انسلاخ يبقى ملازماً لهمنغواي وبطله خلال كتبه التالية ، وحتى اواخر العقد الرابع من القرن العشرين . والحق ان آخر اقصوصة في هـذا المجلد الاول والمسماة « النهر الكبير ذو القلبين » هي نوع من التنبؤ بهذه الامور . انها اقصوصة تبقى غامضة حتى يدرك القارىء فكرتها ، وهي بالغة الغموض حقاً . وفي عام ١٩٥٠ شكا المؤلف

من أن عمر اقصوصته خمس وعشرون سنة ومع هـذا لم يفهمها احد . والحق انها « قصة » بالغة البساطة ، فهي دراسة لشاب يافع تضرر في الحرب فذهب منفرداً في رحلة لصيد السمك ، مبتعداً عن كل انسان . انه يعاني مما كان يسمى « صدمة القنبلة » ، وهو يحاول جاهداً يائساً الا يصاب بالجنون .

وقد جمع همنغواي عـدة قصص اخرى تدور حول (نك أدامز) في المجموعتين التاليتين من اقاصيصه « رجال دون نساء » Men Without Women (١٩٢٧) و « الفائز لا ينال شيئاً » Winner Take Nothing (١٩٣٣) . وهذه الاقاصيص لا تأتي بشيء مغاير ، ولكنها تملأ بعض الفجوات في وصفه المختصر في اقاصيصه السابقة . وفي احدى هذه الاقاصيص ، وهي قصة طالما اعيد نشرها تدعى « القاتلون » ، يتعرض (نك) لموقف باعث على الغثيان وهو موقف يرفض فيه رجل الاستمرار في هربه من اشقياء عازمين على قتله . وفي اقصوصة اخرى هي « نور العالم » يتعرف ، قبل ان ينضج تماماً ، على دنيـــا الدعارة والشذوذ الجنسي المنفرة . وفي اقصوصة ثالثة هي « الآباء والابناء » تزعجه ايما ازعاج افكار تدور حول موت والده (ولكنا لا نستطيع الآن ان نعرف السبب تماماً ، ولا ندريه الا بعد سنوات عدة

عندما يعود البطل ، واسمه الآن روبرت جوردان في « لمن تدق الأجراس» For Whom the Bell Tolls الى مكانه فيشرحه : لقد انتحر الدكتور أدامز). وفي اقصوصة رابعة هي«طريق لن تسلكها » يقابل مصيره الذي كان يحاول يائساً تجنبه في « النهر الكبير ذو القلبين » ، فيصاب بالجنون كنتيجة مباشرة لتجاربه في الحرب .

وهناك فجوات في الصورة التي يجب ان نحملهـا لـ (نك) يملؤها همنغواي بعدة اقاصيص كتبها بصيغة المتكلم . ومن الواضح جداً في هذه الاقاصيص ان راويها (نك) ؛ ففي احداها وهي اقصوصة عن الحرب تدعى « الآن اضطجع » نجده يدعى بذلك الاسم . وهي تدور حول الارق الذي قاسى منه (نك) زمناً طويلًا بعد ان جرح ، فهو لا يستطيـع النوم « بسبب التفكير » ، وكثير من الاشياء التي تشغل فكره ، وهو راقد يقظ ، شديدة الترابط بمناظر واحداث في قصص سبق ذكرها . وفي اقصوصة « في بلد آخر » يتجاوز اهتمام همنغواي نطـاق (نك) الى كارثة فردية اخرى من كوارث الحرب ، وبهـذا يوحي لنا بقصة « والشمس ايضاً تطلع » The Sun Also Rises حيث اوذي « جيل ضائع » باكمله في الكارثة نفسها . وهناك

تطور آخر نجده في « انشودة الالب الرعوية » التي تعود بنا الى رحلة تزلج جرت بعد الحرب كان قد قام بها (نك) في قصة تدعى « ثلج البلد الكئيب » . وفي هذه الاقصوصة يتركز الاهتمام في ردود فعل (نك) واشخاص آخرين نحو موقف مفزع جداً ، كما هو الحال في قصة « القاتلون » الاكثر شهرة . ولكن بينما نجد أن (نك) في الاقصوصة الاولى كان يزعجه التفكير في الرجل الذي كان ينتظر ساكناً اللحظة التي سيقتل فيها بحيث ود ان يخرج سالماً من المدينة التي يخيم عليها العنف ، فاننا نجد ان جراحه في الثانية قد بدأت تندمل ، والفكرة في الاقصوصة تكمن في تطور اساليب دفاعه .

لقد وضح تماماً لنا الآن اي صبي ثم اي رجل (أدامز) هذا. انه بكل تأكيد ليس الانسان البسيط الساذج كما اسيء فهمه كثيراً ، بل انه انسان نبيل كامل الرجولة – وفوق كل هذا – مرهف الاحاسيس . وهو رجل جوّاب ، قوي الاعصاب ، ولكنه في الوقت نفسه عصبي جداً . ومن المهم فهم (نك) هذا، لانه سرعان ما سيتخذ اسماء اخرى في كتب اخرى ، فيعرف في نصف الكرة الارضية بأنه « بطل همنغواي » : ان كل واحد من رجال قصصه له طفولة (نك) ومراهقته ، وشبابه

تماماً . وسيموت هذ الرجل الف ميتة قبل ميتته الحقيقية ، ولن يشفى تماماً من جراحه ما دام همنغواي حياً يسجل مغامراته ، هـذا على الرغم من انه سيتعلم كيف يحيـــا حاملا معه بعض مشكلاته ، متغلبا على البعض الآخر .

ومن الواضح لنا الآن ايضاً انه كانت هناك حـاجة الى ما يلئم هذه الجروح ، فنجد عند همنغواي شخصية موجودة دومـا تقوم بهذا العمل . وهذه الشخصية ليس هو همنغواي نفسه مقنّعا (مع ان بطل همنغواي هو همنغواي نفسه الى درجة ما ، يصعب تحديدها) . والحق انها متميزة تمام التميز عن البطل ، فقد وجدت لتوازن عيوب البطل ، ولتصحح موقفه . ونحن عادة ، ودون كبير توفيق ، نسمي هذا الرجل « البطل الأخلاقي » Code hero والسبب في هذا انه يمثل قانونا اخلاقياً لو تحلّى به البطل لعـاش سويا في عالم العنف والفوضى والبؤس الذي وضع ليعيش فيه . وعلى هذا فالبطل الاخلاقي يبرز لنا ويمثل لنا مبادىء في الشرف والشجاعة والتحمل تجعل من الرجل رجلًا في عالم متوتر ، كما انها تمكنه من ان يحسن التصرف في المعركة الخاسرة التي هي الحياة . وهو يرينا ، حسب عبارة المؤلف المشهورة ، « حسن التصرف وقت الضيق » .

ويبدو هذا الرجل ايضاً اول ما يبدو في الاقاصيص ، فهو (جـــاك) الملاكم المحترف في قصة « خمسون الف دولار » Fifty Grand الذي يبذل جهوداً فوق طاقـة الانسان ليخسر المعركة التي وعد بان يخسرهـــا . وهو (منويل) ، مصارع الثيران « الذي لا يقهر » ، والذي لا يستسلم عندما يغلب على الرغم من شيخوخته وجراحه . وهـو (ويلسون) دليل الصيد البريطاني في « حياة فرنسيس ماكومبر السعيدة القصيرة » الذي يعلم مخدومه اصول وقواعد اطلاق النار التي تجعله ، لمدة قصيرة قبل موته ، انسانا سعيداً . ولتمييزه تمييزاً واضحاً عـــن بطل همنغواي ، فاننا نراه ممثلا في (كاييتانو) المقامر في « المقـامر والراهبة والمذياع » الذي لا تبدر منه اية بادرة تدل على مـــا يعانيه رغم ان رصاصتين قد استقرتا في معدته ، بينما نجد (نك) الممثل للجنس البشري والمسمى هنـا (مستر فريزر) ، يشعر بالخزي لأنه يعاني دون ما يعانيه ولكن على مرأى . واروع هؤلاء الابطال الاخلاقيين واشهرهم يبـدو لنا في احدث قصة لهمنغواي ، فهو العجوز (سنتيـاغو) في « الشيـخ والبحر » The Old Man and the Sea. والفكرة الرئيسية في هذه القصة هي انه يسلك سلوكا مثالياً ـ فيه نبل مع شجاعة بالغة وتحمل ـ

في الوقت الذي تسلبه كلاب البحر السمكة الضخمة التي اصطادها. هذه هي الحياة ، كما تمثلها دوماً رسالة البطل الاخلاقي : فأنت تخسر طبعاً ، ولكن المهم هو كيف تسلك في الوقت الذي تكون فيه على وشك ان تتحطم .

* * *

ان الامور الثلاثة التي ذكرناها حتى الآن - والتي هي الجرح ، والانسلاخ عن المجتمع ، والقانون الاخلاقي (والمواءمة بين هذه كلها) - هي الموضوعات التي نجدها في كل اعمال همنغواي الهامة سواء في ذلك الاقاصيص او غيرها. واعماله الطويلة تبلغ عشرة : ست قصص ، وملهاة ساخرة ، وكتاب عن صيد الوحوش الكبيرة ، وآخر عن مصارعة الثيران ، ومسرحية . والتفسير الذي قد وضعناه نرجو ان يكون معيناً لنا على وضع هذه الكتب في امكنتها وتوضيح معانيها .

وهذا التفسير لن يعيننا كثيراً في الكتاب الاول ذلك لأنه خارج على القاعدة : فهو ملهاة « وقصة هجاء ساخر » تسمى « سيول الربيع » The Torrents of Spring . وقد ظهرت عام ١٩٢٦ ، وهي معارضة ساخرة لقصص (شيروود اندرسون) كتبت في قالب هزلي ، ولا سيما لقصة « الضحك المكفهر »

Dark Laughter (١٩٢٥) . وهي قصة ممتعة نوعاً ما وبخاصة اذا كلف المرء نفسه قراءة او اعادة قراءة موضوع الهجوم ذاته، فهناك عنـــاصر باعثة على السخرية حتى في قصص اندرسون « الافضل » ، وهذه يجد همنغواي طريقه اليهـــا دون خطأ . ولكن هذا الكتاب ، وقد صدر في سرعة بالغة ، لم يجد عدداً كبيراً من القراء كما وجدت كتبه الاخرى ، كما انه لا توجـد هناك اية علاقة بينه وبين اي شيء آخر كتبه - وليس فيه سوى انه يصرح بانه خلو من بعض العيوب الفظيعة الموجودة في رجل سبق ان كان له تأثير فيه . ويقال بانه ايضاً قـد فصم ، بسبب هذا الكتاب ، عقده مع ناشري كتبه (بوني وليفرايت)اللذين كان ولا بد ان يشعرا بضرورة رفض هذا النقد الموجه لواحد من كتابها المشهورين ، فيكون همنغواي بهذا في حل لأن يأخذ كتابه الى دار نشر سكريبنر الذي كان يؤثره عليها .

ومن المشكوك فيه جداً ان يكون هم همنغواي الاول من كتابه هذا ان يكون وسيلة يستطيع بها تغيير الناشرين. والذي حدث ان (ليفرايت) رفضه ، فنشره (سكريبنر) ، فكان (سكريبنر) بهذا قادراً على ان ينشر البـاقي من اعماله . ولم تكن دار نشر سكريبنر بحـــاجة الى ان تنتظر طويلًا لتثبت

حنكتها في قبول كتـاب همنغواي ، ذلك لأن اول قصة ذات قيمة له وهي« والشمس ايضاً تطلع » قد تسلمتها في العام ذاته . وقد اصبح هذا الكتاب في حينه اكثر الكتب رواجاً فبنى لمؤلفه شهرة . وقصة « والشمس ايضاً تطلع » تقدمنا الى البطل واسمه هنا(جاك بارنس) ولكن جرحه، بمعنييه ايضاً الحرفي والرمزي، ينتقل مـن العمود الفقري (حيث اصيب نك) الى اعضـاء التناسل : وبصراحة فان جاك قد اصيب بالعنة في الحرب. وعلى هذا فان جرحه قد مر بمرحلة تغير هامة، ولكنه ما زال البطل وما زال الرجل الذي لا يستطيـع ان ينام عندمـا يبدأ عقله في العمل ، والذي يبكي اثناء الليل . لقد انسلخ ايضاً عن المجتمع واساليب الطبقة المتوسطة العادية في الحياة ، فيعيش في باريس مع مجموعة من الغرباء من بقاع العـالم ، وهي مجموعة فاسقة منغمسة في الملذات مسلية ولكن لا هدف لها ـ وكل افرادهـا قد انحرفوا بطريقة او بأخرى عن مسارب الحياة العادية بسبب الحرب . ان هذا هو« الجيل الضائع » ، كما لاحظت جرترود شتاين في حديث لها مع همنغواي ، وقد جعل همنغواي تلك الملاحظة مشهورة بهذا الكتاب .

ومع ان هذا الجيل الضائع لم يبلغ درجة عالية من التطور

بعد ، الا ان جاك والاشخاص القليلين الذين يحبهم لهم قانون اخلاقي . فهناك اشياء معينة « تجوز » واشياء اخرى كثيرة «لا تجوز» ، ونجد ان احدى الشخصيات تميز بين الناس على انهم ينتسبون او لا ينتسبون حسب كونهم يفهمون اولاً . والمشكلة الرئيسية في روبرت كون مثلاً ، وهو كاتب ، هي انه لا يفهم ، وهو مغاير تماماً لمصارع ثيران شاب اسمه روميرو (بطل اخلاقي سابق) يرينا بمسلكه الشخصي والمهني انه يفهم .

وتدور احداث القصة حول الشرب وصيد السمك ومشاهدة مصارعة الثيران ، كما تدور حول غراميات مشوشة لسيدة شابة اسمها بريت اشلي . ان (بريت) تحب (جاك) وهو يحبها ، ولكن بما انه جريح كما هو الحال فانهما لا حيلة لهما . ومع ان (بريت) مخطوبة الى رجل هو ايضاً ضحية الحرب مثلها ومثل جاك ، الا انها تنتقل من (كون) الى (روميرو) ثم تتركه ـ بسبب ما تؤمن به من مبادىء ايضاً ـ لتعود اخيراً يائسة الى جاك . ولا شيء يؤدي الى اية نتيجة في الكتاب ، ولعل هذه هي الفكرة الرئيسية فيه . ان الاحداث تدور في حلقة مفرغة ـ فهي في هذا تشبه الشمس ، عنوان الكتاب ، التي تبزغ ايضاً لتسرع عائدة الى المكان الذي بزغت منه (والعنوان بالطبع

مقتبس من سفر الجامعة من التوراة) . والقصة في اكثر اجزائها ممتعة والاسلوب حي وهّاج ، والحوار تلذ قراءته ، والكتاب مبني بناء جميلا حافلا بالمعاني . ولكن رسالته لهؤلاء الناس على الاقل هي ان الحياة باطلة (وهنا يحس المرء احساساً واضحاً بأن الناس الآخرين لا يعنيه امرهم كثيراً) .

والواقع ان هذه ليست بالضبط الرسالة التي ارادها همنغواي، فقد قال بأنه قـد اعتبر هذا القول « انكم جميعاً جيل ضائع » الذي ضمنه كلامه ، كلاماً « بالغ التزويق » ، كما قال انه اقتبس عبارة سفر الجامعة ، التي اوردها ايضاً كتضمين ، ليصحح التعليق المنسوب الى الآنسة (شتاين) . اما رأيه الخاص فقد كتب الى محرره (مكسويل بيركينز) بأن الفكرة في قصته هي ما عنته عبارة التوراة جزئياً من ان « الارض باقية الى الابد » .

ومن المؤكد اننا نستطيع ان نجد سنداً لهذه الدعاوى في القصة ذاتها ، فليس كل شخصياتها تقريباً « ضائع » — فروميرو ليس كذلك — وجمال الارض الخالدة نجده فيها بين حين وآخر، ولكن اكثر الشخصيات تبدو ضائعة حقاً في أكثر الاحيان ، والقلة من القراء فهمت من عبارة سفر الجامعة ما فهمه همنغواي. واعمق ما يحس به القارىء في هذه العبارة ليس ان الارض باقية

الى الأبد بل ان كل حركة لا نهاية لها ، ولا فائدة منها . وكل اولئك الذين يعرفون ما قاله الواعظ يدركون ان صدى «باطل الأباطيل ، كل شيء باطل » له تقريباً القوة نفسها . وللمرة الوحيدة نجد ان غرض همنغواي مزدوج ، ولكن النتيجة مع هذا مؤثرة ، وبهذا تبقى « والشمس ايضاً تطلع » احدى خير قصتين للكاتب .

والقصة الثانية هي كتابه « وداعاً ايتها الحرب » (١٩٢٩) ، ومن ضمن الأمور التي تشرحها هي كيف ان شخصيات «والشمس ايضاً تطلع » ، وبخاصة البطل ، قد صارت الى ما هي عليه . في خلال مجرى القصة يجرح الملازم الاول (فردريك هنري) في الحرب كما جرح من قبل (نك ادامز) (مع ان ابلغ اصابة في هذه الحالة كانت في ركبته وهو المكان الذي تضرر فيه همنغواي نفسه اكبر ضرر) . وتبدو على (هنري) بوضوح نتائج هذه المصيبة ، فهو هنا ايضاً لا يستطيع النوم ما لم يكف عن التفكير ، وكذلك فانه اذا نام حلم احلاماً مفزعة . وعندما كان يستجم في ميلانو وقع في حب ممرضة انجليزية، ولكنه عندما عاد الى الجبهة اضطر الى الفرار من الجيش الذي كان يحارب فيه لكي ينقذ حياته . ويهرب الى سويسرا مع الممرضة ، وهي

شابة مطيعة اسمها (كاترين باركلي) كانت حينذاك حاملا منه ، وهناك تموت اثناء الولادة . ان هنا رجلا قد وقع في المصيدة — هذا ما يبدو لنا وكأن همنغواي يريد ان يقوله . انه قد صيد بيولوجيا كما قد صيد اجتماعياً ، وكلا الامرين خاتمته مرة ، وليس هنالك من مخرج .

ومرة اخرى نقول ان هذا كتاب متقن الكتابة ، فنثره مؤثر نقي ، والاشخاص تدب فيهم الحياة حالا مع صدق في التصوير . اما القصة فقد بنيت بعناية متأنقة . وفي اولها مباشرة منظر قصير فيه صور منذرة بالسوء — من مطر وحمل وموت — تخلق جواً منبئاً بكل ما سيحدث بعد ذلك . والحب والحرب هما موضوعا القصة بالتأكيد ، كما يوحي بذلك العنوان الذي قصد منه ان يكون غامضاً (وهما متطوران صدفة عن اثرين سابقين : الوصف المختصر في اقصوصة «الفصل السادس» التي يجرح فيها (نك) ، و « قصة الحب » المسماة « قصة قصيرة جداً » التي اتت بعدها مباشرة في مجموعة « في عصرنا » In Our Time) .

وعلى الرغم من تكرر ظهور الحب والحرب في الكتب نفسها ، فانهما يبدوان غير قابلين للامتزاج ، هذا اذا بنينا حكمنا على ندرة جمع الكتاب لهما . ولكن طريقيهما في هذه القصة يسيران

متوازيين في حذق ، حتى اننا لنحس في النهاية بأننا قد قرأنا قصة واحـــدة لا قصتين . ان هنري يمر عبر ست مراحل في حياته العسكرية . فمن اسهام متقطع في الخدمـة العسكرية الى عمل جاد فاصابته بجرح ، ثم بعــد ذلك من استجمامه في ميلانو الى انسحاب يقوده الى الفرار . وقـد حيكت مع هذا كله ، وبعناية ، علاقته مع كاترين التي تمر بست مراحل موازية للسابقة تماماً : فمن علاقة جنسية عابرة الى حب حقيقي فحمل ، ثم يتلو ذلك اعتكاف في جبـال الالب فرحلة الى المستشفى تؤدي الى وفاتها . وعندما يحين الوداع الاخير تصبح القصص واحدة ، ولا يبقى بعد ذلك أي شك متوهم في أن الحياة ، على المستوى الشخصي والاجتماعي ، ليست الا صراعـاً لا يكسب الخاسر فيه كذلك شيئاً .

وهذا الكتاب ، ككل كتب همنغواي الحسنة ، لا يفيه الوصف المقتضب حقه ، ومن الاسباب الباعثة على هذا الاعتقاد ان فيه شخصية (فريدريك هنري) ، الذي يبدو هنا وبوضوح دونه كل وضوح انه هو « بطل » همنغواي بكل ما في هـذه الكلمة من ايحاءات تفوق ما في كلمة « الشخصية الاولى » Protagonist . ان (هنري) يمثل عدة رجال ، كما يقف رمزاً

لتجربة بلاده : فانتقاله من الاشتراك في جريمة الحرب الى الشعور بالمرارة فالهرب ، صفحة تستطيع ان تقرأ فيها كل امريكا تاريخها الحديث في فترة حرجة ، منذ (ويلسون) حتى (هاردنج) . وعندما عبر (هنري) عن كفره بالمثل التي ادعت الحرب بأنها تقف من اجلها والقى بنفسه في النهر وهرب ، كان بعمله هـذا يعبر عن الاحساس المعاصر لامة بكاملها . ومع هذا فليس الكتاب خلواً من قيم ايجابية حسب الزعم الشائع الذي نفاه مرة (روبرت بن وارن) . ان (هنري) يتطور منتقلا من الفوضى ممثلة في بيت الدعارة الى النظام الذي هو الحب ، ويميز تمييزاً دقيقاً بين الناس الذين اعتادوا النظام والأكفياء الذين يتعامل معهم ، وبين اولئك الفوضويين العاجزين : ان القيمة الاخلاقية لهذه الفضائل ليست شيئاً طارئاً على الاحداث ، بل هي الاساس الذي بني عليه الكتاب . وعلى كل حال فانه على الرغم من مثل هـذه الاسس نجد ان الاثر الباقي لهذا الخليط من التشاؤم والمثل العليا يجمع بين المأساة واليأس .

ان العلاقة بين همنغواي وبطله كانت دائماً وطيدة ، ولهـذا فلعله ليس من المستغرب ، في ضوء هـذا التشاؤم الموجود في هذين الكتابين الاخيرين ، ان نجد في كتابيه التاليين اللذين ليسا

قصتين ، ان البطل - وهو هنا همنغواي نفسه دون قناع - يقف على شفا جرف هاو وانه قد انسلخ انسلاخاً كلياً عن المجتمع الذي سبق ان لفظه في « وداعاً ايتها الحرب » . وهذان الكتابان هما «موت بعد الظهيرة» Death in the Afternoon (١٩٣٢) و «نجاد افريقيا الخضر » Green Hills of Africa (١٩٣٥) . وليس أي واحد منهما ذا قيمة بالغة ، فالاول عن مصارعة الثيران وهو احد الموضوعات العديدة العجيبة التي يعرفها المؤلف معرفة جيدة ، والثاني عن صيد الوحوش الكبيرة ، وهو موضوع يعرف عنه الكثير ايضاً. ولكن الكتابين في واقع الامر عن الموت - موت الثيران، ومصارعي الثيران، والخيول، والوحوش الكبيرة. ان الموت ، باعتراف همنغواي نفسه ، قد سيطر على تفكيره أمداً طويلا . وكلا الكتابين أيضاً فيه شيء من الهستيرية ، ويبدوان وكأنهما قد كتبا في حالة توتر عصبي بالغ . ومن المؤكد ان المصارع مثل جيد للانسان صاحب القانون الاخلاقي . انه تجسيد حي « لحسن التصرف وقت الضيق » وذلك عندما يقوم بدوره وكأنه رئيس كهنة في احتفال رسمي يعرض فيه الرجال انفسهم للموت الزؤام ، ثم يأتي بمسلكه الذي يمثل القانون الاخلاقي فيقدم على ما يحاول الرجال ان يتجنبوه . وكلا المجلدين فيه قطع

طويلة – عن اسبانية وافريقية وموضوعات اخرى – جديرة بالقراءة . ولكن الامر البادي جداً اكثر من أي شيء آخر هو أن الكتابين يرسمان صورة لانسان كان ، منذ ذاك الصلح المنفرد ، قد اجتث نفسه تماماً من الجذور التي يستمد منها غذاءه فكان ان اصبح جائعاً . وهناك شعور قوي بأن عليه ان يجد جذوراً جديدة او يقيم ثانيـة جذوره القديمة ، اذا كان يود ان يكتب قصصاً جيدة اخرى .

ولم يكن هذا الطريق خالياً من الالم ، وكتاب همنغواي التالي « من يملك ومن لا يملك » (١٩٣٧) يفشي تلك الحقيقة بافاضة . وهذا الكتاب قصة ، وان لم يكن قصة جيدة – على الاقل بالنسبة لهذا الكاتب . ولكنها قصة يرينـــا فيها المؤلف بوضوح انه قد تعلم شيئاً سيصبح بالغ الاهمية بالنسبة اليه قبل ان يضع القلم . وكما حدث كثيراً قبلا وحدث بعد ذلك ايضاً ، فان البطل الاخلاقي ، وقد انتحل اسم (هاري مورغان) ، هو الذي يتعلم الدرس . والقصة تروي حكاية هذا الرجل الذي اضطر الى ان يهيم على وجهه ، لانه لم يستطع ان يعول زوجته واطفاله بالعمل الشريف : فيصبح طريد القانون يهرّب (الروم) والناس من كوبا الى الولايات المتحـــدة . وفي النهاية يقتل ،

ولكنه قبل وفاته يتعلم الدرس الذي لا بد ان همنغواي قد تعلمه حديثاً : وهو ان الانسان منفرداً لا يستطيع عمل شيء .

ومن المؤسف ان هذه العبارة ، وقد قيلت على فراش الموت ، لم تنم نمواً تلقائيا نتيجة احداث الكتاب . والمقارنة بين من يملكون ومن لا يملكون اراد منها الكاتب ان تكون اساساً وسنداً للقصة ورسالتها ، ولكن القصة ككل ليست مقنعة .

ومن الواضح ان تفوق من لا يملكون مبني على تفوق آل مورغان في الحياة الجنسية ، وعلى اشمئزاز وحشي موجه لكاتب ناجح في الكتاب ، وعلى بعض التفسيرات الفجة للطرق التي حصل بها من يملكون على المال . اما كيف ان هذه الاشياء كلها ادت الى تفوه (هاري) بعبارته الاخيرة فهذا شأن همنغواي ، الا انه لا يخلص الى ذلك بمهارة .

والقصة في حد ذاتها ذات قيمة بسيطة ، اما ما تمثله في همنغواي فهذا هو المهم . هنا نجد خاتمة النفي الطويل الذي بدأ بصلح (نك أدامز) المنفرد ، وخاتمة انفصال همنغواي العقائدي عن العالم : فالانسان منفرداً لا يستطيع عمل شيء . والواقع انه بحلول عام ١٩٣٧ ، وهو عام نشر هذه القصة ، كان همنغواي قد اصبح على وشك احتضان المجتمع الذي هجره قبل نحو

من عشرين سنة ، وعاداليه مسهماً في حرب اخرى هي «حرب من اجل الديمقراطية » .

ويبدو ان اهم عامل جعـل همنغواي يعود الى عالم الناس الآخرين كانت الحرب في اسبانيـة . لقد اسهم في تلك الحرب اسهاماً غير رسمي محارباً بجانب الحكومة ، وكان كتابه التالي المسهب مسرحية تدعى « الطابور الخامس» The Fifth Column (١٩٣٨) تمتدح المحاربين الذين كان متصلا بهم ، ويعلن فيها ايمانه بقضيتهم . وتتميز المسرحية ببعض الاحاديث الممتازة ، ويفسدها نوع من العراك بين البوليس واللصوص . وبطـل همنغواي ، واسمه الان فيليب ، يمكن التعرف عليه حالاً . انه ما زالت تعذبه ذكرياته ، ويلازمه القلق والفزع ليلا . ويبدو فيليب ، وقد لبس ملابس قرمزية كمحرر صحف امريكي ، جذابا ولكنه منغمس في الملذات لا يحسن عمل شيء ، وهو صحفي لا يبعث الى صحيفته بأية قصة . ولكن الواقع عكس هذا فهو غارق الى عنقه في الحرب بجانب الحكومة ، دون ان تدري بذلك عشيقته (دوروثي) . واكثر شيء باعث على الدهشة فيه هو مـــدى ابتعاده عن البطـل ، الذي يشبهه في كل شيء ، والذي قرر في « وداعاً ايتها الحرب » بأن مثل هذه العقائد والقضايا « قذرة » .

ولكن ليس في هذا بُعدٌ ابداً عن الخاطرة القائلة أن الانسان لا يستطيع عمل شيء منفرداً ، ولا عن الفكرة القائلة « لا انسان كجزيرة قائمة بذاتها .... » وهـذه الكلمات ، المأخوذة من ابتهالة لجون دون، جزء من عبارة اقتبسها همنغواي في قصته التالية التي عنوانها نفسه وهو « لمن تدق الاجراس » For Whom the Bell Tolls (١٩٤٠) مأخوذ من المصدر نفسه . والجرس المشار اليه هنا هو جرس الجنازة : « ولهذا لا ترسل احداً ابداً لتسأل لمن تدق الاجراس : انها تدق لك » .

وفي هذه المرة نجـد القصة صادقة في التعبير عن فكرتها الرئيسية . وموضوعها ثلاثة ايام في حياة بطل همنغواي ، واسمه الآن روبرت جوردان ، الذي يحـارب كامريكي متطوع في الحرب الاهلية الاسبانية . ويرسل لينضم الى فرقة من العصابات في الجبـال القريبة من (سيجوفية) لينسف جسراً ذا موقع استراتيجي ، وبهذا يسهل تقدم جيش الحكومة . ويقضي ثلاثة ايام بلياليها في كهف العصابات ، وفي اثنـاء ذلك يكون بانتظار ما يتوقع ان يكون فيه تحطيمه . ويقع في حب (ماريا) ابنة رئيس بلدية جمهوري الاتجاه كان قد قتله (الكتائبيون) - كما انها هي نفسها قد اغتصبت . ويؤمن (جوردان) ان الهجوم

سيخفق ، ولكن الجنرالات لن يلغوه الا عندما يكون متأخراً جداً . وينجح في تدمير الجسر ، ويجرح اثناء الانسحاب ، ثم يترك ليموت . ولكنه كان قد وصل الى حالة يستطيع معها ان يرى سداد مثل هذه التضحية . وينتهي الكتـــاب دون شعور بمرارة .

ان هذه قصة ليست خالية من العيوب ، فمن ذلك ان قصة الحب هذه ، اذا لم تكن مغرقة في العاطفة ، فانها على الاقل تصور الاشياء بصورة كمالية وبطريقة رومانتيكية جداً . وثاني هذه العيوب ان هناك عدداً عديداً من القطع التي يبدو فيها (جوردان) مجاهداً من اجل العقيدة التي يعمل من اجلها اكثر منه منفّذاً لها . ان البطل ما زال هو الرجل الجريح . وفي القصة احـــداث جديدة مستمدة من ماضيه تفسر السبب في صيرورته هكذا . وتعلق شخصيتان بصراحة بانه كان اصغر من ان يجرب الاشياء التي يقول انه قد جربها . ولكن (جوردان) قد تعلم ، منذ الأيام الماضية كيف يعيش ويعمل حاملا معه جراحه ، وهو الى هذا يحسن التصرف . ويموت ، ولكن بعد ان نفّذ المهمة التي وكلت اليه . وطريقة موته اقنعت الكثيرين من القراء بما عجز عنه تكفيره وهو : ان الحياة تستحق

ان نحياها ، وان هناك قضايا جديرة بأن نموت من اجلها . والمهارة التي كتبت بها اكثر اجزاء هذه القصة ترينا أن موهبة همنغواي قد عادت مرة ثانية سليمة رائعة . ولم تثر اية قصة من قصصه مثلما اثارته هذه القصة من احاسيس ، ولم تُبْدِ أية قصة اخرى مثل ما في هذه القصة من احساس واثق بالحبكة ، ولم تقدّم أية قصة مثل ما في هذه القصة من حيوية دافقة في الشخصيات الثانوية او من حيوية في الحوار المزدوج . ولكنه بعد هذا النجاح (وكان هذا الكتاب انجح كتبه كلها اذا حكمنا على المبيع) استغرق في صمت امتد الى عقد كامل – ومرد ذلك اولا الى توقف النشاط الادبي في الحرب العالمية الثانية . وعندما خرج عن صمته هذا في عام ١٩٥٠ بكتابه التالي ، وهو قصة تدعى « عبر النهر وفي الغابات » Across the River and into the Trees ، فان النقاد والمعلقين اعلنوا على نطاق واسع موت موهبته التي كانت فيما مضى عظيمة .

ومن المؤكد ان هذه القصة عمل ضعيف . وهي قصة كولونيل (يكاد يكون صورة دقيقة لهمنغواي) في وقت السلم : انه يأتي لقضاء اجازته في البندقية ليذهب لصيد البط ، وليرى فتاته اليافعة جداً وليموت . وهو يفعل هذه كلها . والكولونيل

هو البطل مرة ثانية ، واسمه في هذه المرة (ريتشارد كانتويل)، وفيه كل الجراح القديمة ، وبخاصة تلك التي اصابتـه تحت اسم فريدريك هنري في « وداعاً ايتها الحرب » . وهنـاك أيضاً « بطلة همنغواي » ، وهو لقب يدل على الممرضة الانجليزيـة كاترين في تلك القصة ، والفتاة الاسبانيـــة ماريا في « لمن تدق الاجراس » ، وتدل الآن على الكونتيسة الايطـــالية الشابة (ريناتا) في هذه القصة . (وكلهن يكدن يكن فتاة واحدة ، على الرغم من ان جنسياتهن دائمة التغير لسبب ما ، بينما لا تتغير جنسية البطل . وهن يصغرن كلما تقدمت السن بالبطـــل) . وهناك أيضاً عدة علامات دالة على «القانون الاخلاقي» ، ولكن القانون الاخلاقي في هذا الكتاب استحال الى نوع من الدعابة . وقد اصبح البطل ثقيل الدم والظل الى درجة كبيرة ، واصبحت البطلة حلماً مرصوصاً ، واختفت المسـافة التي حافظ همنغواي على ان يبقيها قائمة بينه وبين الشخصية الأولى في قصصه ، ليتركنا مع سجل ذاتي لكل خاطرة من خواطر المؤلف ، فهو يتصرف وكأنه في موقف استجواب . ان القصة تبدو تقليداً ضعيفاً لكتبه السابقة .

ومع هذا فهناك شيء ممتع في القصة : فقبل مئة سنة بالضبط

على ظهور هذه القصة نشر (ناثانييل هوثورن) قصة «الشارة القرمزية» التي قال فيها : « ان هناك قضاء وقدراً ، واحساساً لا يقاوم ولا يمكن تجنبه فيه قوة القدر يجبر بني الانسان دوماً تقريباً على ان يطوفوا ويمكثوا كالاشباح في البقعة التي تحدث فيها حادثة مهمة عظيمة تعطي حياتهم لونها . وكلما كانت هذه البقعة اكثر جذبا كلما اكسبت الحياة لونا اكثر سواداً يبعث فيها الاسى» . ومن هوثورن نفسه و (بو) ومن شخصية (هستر برن) عند (هوثورن) و (أهاب) عند (ملفيل) حتى «زوبي» عند (ج . د . سلنجر) الذي لا يرغب في ترك نيويورك («لقد صدمت هنا ـ مرتين وفي الشارع اللعين نفسه ») ـ اقول لا احد في تاريخ الادب الامريكي ابرز نفاذ بصيرة (هوثورن) بمثل القوة والوضوح اللذين نجدهما عند همنغواي وبطله . ولا نجد هذه الفكرة واضحة في كتابات همنغواي مثلما نجدها في « عبر النهر وفي الغابات » . فهنا يقوم الكولونيل (كانتويل) بنوع من الحج الى المكان الذي جرح فيه اول مرة ـ حيث جرح نك ادامز و فردريك هنري (وهمنغواي نفسه) . ويتناول الادوات ويعين بمقاييس المساحة موقع المكان على الارض بالضبط ، حيث ضرب . وبعد ذلك ، وبعمل مضن باهر من التحقيق ، يبني نوعاً من النصب

التذكاري الشخصي جداً للمكان ، ويواجه الحدث العظيم البين الذي لوّن حياته - وزمن كتابة همنغواي — وتكون نهاية رحلته (او النهاية حتى الآن) ، ليس عند المكان الذي عاش فيه اولاً ، بل الذي توفي فيه اولاً .

ان النقاد الذين تنبأوا بأن هذا الكتاب يعلن موت موهبة همنغواي ، وبطله كذلك ، ثبت لحسن الحظ انهم مخطئون ، ذلك لانهم قد اجبروا ، وبالاجماع تقريباً ، على ان يعترفوا بأن كتابه التالي المسمى « الشيخ والبحر » The Old Man and the Sea كان انتصاراً . وهـذه القصة القصيرة جداً التي يصر البعض على تسميتها اقصوصة طويلة (لقد اشيع لفترة انها جزء من عمل اطول لم ينته) ، تتحدث عن صائد سمك عجوز من كوبا . فبعد اربعة وثمانين يوماً مضت على سنتياغو دون ان يصطاد سمكا ، يخاطر بالدخول الى عرض البحر وحيداً ويصطاد بالسنارة سمكة مارلين ضخمة من تيار الخليج . ولمـــدة يومين وليلتين يبقى الشيخ صامداً بينما تجره السمكة بعيداً الى داخل البحر ، واخيراً ينجح في جلب السمكة الى جانب زورقه ويضربها بالحربة ويربطها اليه . وفي الحال تقريباً تبدأ كلاب البحر باغتصاب غنيمته منه فيقاتلها حتى لم يبق معه الا ذراع الدفة المكسور يقاتل

به . ولكنها تأكل السمكة كلها عدا هيكلها ، فيجره عائداً ، نصف ميت من الارهاق ، ويذهب لينام وليحلم بأيام اخر .

والشيء الوحيد الذي يبعد « الشيخ والبحر » عن العظمة هو ان المرء يحس بأن المؤلف انما يقلد الاسلوب الذي جعله مشهوراً بدلا من أن يخلقه ، ولكن هذا العيب يعوض عنه تقريباً ما في الكتاب من معان غزيرة . وكما هي الحال دائماً في البطل الاخلاقي ، فان لـ (سنتياغو) هنا رسالة وهي في جوهرها تقول انه قد يشيخ الانسان ويقع في حيص بيص ، الا انه مع هذا يستطيع ان يتمسك بالقواعد ويصمد ، والسياط تلهب ظهره . وهكذا فانه بالطريقة التي يخسر فيها يحرز نصراً لنفسه . وعلى مستوى آخر فان القصة يمكن ان تقرأ على انها مجاز شخصي جداً ترمز لمؤلفها ، فهي وصف لصراعه وتصميمه وتبدل ظروفه الادبية . ان (سنتياغو) يشبه همنغواي في انه معلم في حرفته ينصب خيوطه بعناية ودقة اكثر من منافسيه ، ولكن الحظ ادار له ظهره زمناً طويلا . لقد كان في الماضي قويا جداً ، وكان السابق ، ولكن شهرته كلها الآن في خطر وها هو قد شاخ . ومع هذا فانه يحس بأن عنده من القوة الكفاية ، وهو يعرف اسرار صناعته وهو مصمم ، وما زال مستعداً لاحراز النجاح

الكبير . ولا يعني شيئاً انه قد اثبت قوته فيما مضى ، فان عليه ان يثبت ذلك ثانية ، وقد فعل . وبعد ان امسك بغنيمته جاءت كلاب البحر واخذتها كلها منه ، كما ستحاول دائماً ان تفعل . ولكنه قد اصطادها ، وصارع من اجلها جيداً ، وفعل كل ما يستطيع وكان كثيراً ، وهو في النهاية سعيد .

واذا نظرنا من اكبر زاوية ، فان القصة تمثيل للحياة على انها صراع ضد القوى الطبيعية التي لا تغلب ، والتي من الممكن احراز نوع من النصر فيها . انها مجاز ملحمي للحياة ومغالبة تبدو فيها حتى مشكلة الحق والباطل تافهة امام الشيء العظيم الذي هو الصراع . وفيها ايضاً مشابه من التراجيديا اليونانية في ان النظارة، عندما يسقط البطل ويخفق ، قد يحتفظون بخاطرة خالدة عما يمكن أن يصل اليه الانسان من عظمة . وهي أيضاً تراجيديا مسيحية ، وبخاصة باشاراتها العديدة الهامة الى الرمزية المسيحية، ومن أخصها الصلب – وهو تطور في قصص همنغواي بدأ ، دون أن يكون ذا قيمة حقيقية ، في البواكير منها ، واشتد في « عبر النهر وفي الغابات » وبلغ الذروة في هذا الكتاب .

ومع أن النظرة الى الحياة في هذه القصة قد مرت بتطور طويل يبدأ من ايام اليأس القاتل ، الا انها على الرغم من هذا

تمثل انحرافاً غير عادي في مؤلفها . ويبدو ان الاحترام لصراع الحياة ، وللانسان قد هبط على همنغواي كهبة الرحمـــة على الانسان المتدين . ومعرفة أن انساناً بسيطاً قادراً على أن يكون ذا نبل وعزة نفس ، وحتى ذا بطولة كالتي يتمتع بها سنتياغو ، وان معركته يمكن ان تبدو في مظاهر بطولية — اقول لعل هذه المعرفة نفسها ، اذا طرحنا الآن الاعتبارات التقنية جانباً ، هي أعظم نصر احرزه همنغواي . ومن المحتمل جداً ان هـذا النوع من المعرفة هو الذي كان بباله عنـدما علق قائلا لشخص ما ، بعد الفراغ من الكتاب بقليل ، بأنه قد حصل اخيراً على ما كان يعمل من اجله طوال حياته .

ويقال ان لدى همنغواي كثـيراً من المواد غير المنشورة جاهزة للنشر ، او على وشك ذلك ، ولكنه لم يصدر شيئاً منها منذ « الشيخ والبحر » - ما عدا اقصوصتين فقط ظهرتا في العدد المئوي لمجلة Atlantic Monthly (تشرين الثاني ١٩٥٧) ، وهما بكل اسف ، ليستا بذات قيمة بالغة . واقل ما يقال انه ليس من الصعب معرفة احد الأسباب المحتملة لهـــذا الصمت : انها الضرائب . وهمنغواي في هذا في موقف يحسد عليه حيث أن جزءاً كبيراً مما يكسبه من انتاجه الجديد يذهب الى الحكومة .

فاذا ترك مثلا قصتين وبضع اقاصيص بعــد وفاته فان زوجته الحالية وابنــاءه الثلاثة واحفاده سيكونون في بحبوحة تامة (ان مكاسبه في اقصوصة واحدة وهي « ثلوج كلمنجارو » لا بد انها قد بلغت نحو ٢٠٠ الف دولار) .

وهمنغواي الانسان على حظ كبير ممــا يثير الاهتمام به ، فحياته حافلة بالاحداث . وقصة حياته ، في نقاطها الهامة ، ليست بعيدة الشبه من قصة بطله . فقد ولد ارنست ميلر همنغواي في ٢١ تموز « يوليه » ١٨٩٩ في ضاحية من ضواحي شيكاغو اكثر سكانها من الطبقة المتوسطة تدعى اوك بارك ، الينويز . وكان والده طبيباً يعشق صيد الحيوانات والسمك ، وكانت امه متدينة وموسيقية . ونشب في الصبي صراع حول أي الاتجاهين عليــه أن يختار ، فانتصر الاتجاه الاول كما يبدو . وايام الطفولة التي يتراءى انها قد تركت اعمق الآثار في همنغواي كانت تلك التي قضاها في ميتشيغان اثناء الاجازات ، وهذه نراها معكوسة في عدة قصص عن (نك أدامز) الشاب .

وتعلم همنغواي في صباه الملاكمة (وكانت عينه دوماً تصاب باضرار اثناء ذلك) ، وكان يلعب كرة القدم في المدرسة الثانوية ولكنه لم يكن يحب اللعبة الثانية كثيراً ، ومن اسباب ذلك انه

كان قد اصبح يفضل الكتابة عليها . كان من جراء نشاطه في دروس اللغة الانجليزية وصحيفة المدرسة ان نظم شعراً خفيفاً ، وكتب العدد العديد من الاعمدة مقلداً فيها (رينج لاردنر) ــ ــ وهو تمرين اصبح فيه بارعاً ــ كما حاول كتابة بعض الاقاصيص. ومع انه قد بدأ لعدة سنوات وكأنه قد خلق ليكون كاتباً هزلياً ، الا أنه حاول كتابة قصص اكثر جدية ، فكان هذا حقاً أبعد جزء من حداثته اثراً . واختار الكتابة عن شمـــال ميتشيغان. ونحن نلمس في هذا النثر المبكر كثيراً من خصائص اسلوبه المتأخر ــ وبخاصة بعض مظاهر حواره الشهير .

وقد قال همنغواي قبل بضع سنوات قولة فيها شيء من الجد ، ولا شك ، بأن خير تدريب للكاتب هو حياة غير سعيدة في الصبا . وعلى كل حال فانه هو نفسه كان يبدو سعيداً لدرجة معقولة في كثير من الاحيان ، ولكن يبدو أيضاً انه كان في بعض الاحيان غير راض أبداً عن حياته المنزلية وعن (اوكبارك). وقد فر من البيت مرتين ، وما كاد يتخرج من المدرسة الثانوية حتى اسرع الى (كنساس سيتي) ، ولم يعد الى البيت ابداً . ولولا اعتراض والديه بأنه صغير جداً (١٧ سنة) ، ولولا عينه المصابة ، لذهب الى ابعد من ذلك بكثير ، فقد كان شديد

التوق الى الاشتراك في الحرب. وبما ان الجيش قد رفضه مراراً فانه قد استبدله بطرق باب جريدة « النجمة » Star (في كنساس سيتي) وكانت آنذاك من احسن جرائد البلد ، وزور في عمره (وهذا يفسر سبب تعيين تاريخ ميلاده بـ ١٨٩٨) ، فقبلته الجريدة مخـبراً . ومن الاسباب التي جعلت الجريدة تقبله ما اكتسبه من خبرة جيدة في جريدة مدرسته الثانوية . وقد عرف هنا بنشاطه وحماسته وانه اثناء القيام بواجبه كان يفضل دوماً ركوب عربات المستشفى . واخيراً استطاع ان يشترك في الحرب برتبة ملازم اول فخري في الصليب الاحمر ، وسافر عبر البحار وهو في نشوة من امره ، كسائق لعربة مستشفى . وقد جرح جرحاً خطيراً عندما كان يوزع الشوكولاته على الجنود في ايطالية عند (فوسالتا دي بيافي) في الثامن من تموز ١٩١٨ ، وقلده الايطاليون وساماً لما أبداه من بطولة بعد ذلك . وقد اجريت اثنتا عشرة عملية على ركبته ، والتحق بعد استجمامه بفرقة ايطالية من المشاة وبقي فيها حتى اعلان الهدنة .

وبعد الحرب ، وبعد « أن لم يبق فيه موضع الا واصيب ، بالمعنى الحرفي لهـذه العبارة » كما قال احد اصدقائه ، عاد الى الولايات المتحـدة يحمل معه بذلته العسكرية ذات الثقوب .

وتوجه الى شمال ميتشيغان مرة ثانية فقضى زمناً في القراءة والكتابة وصيد السمك . وعمل بعد ذلك لفترة قصيرة في كندا مع جريدة «النجمة» Star بتورنتو ، ثم انتقل مؤقتاً الى شيكاغو . وعندما وجدنفسه غير سعيد في امريكة، تزوج وسافر الى باريس كمراسل خارجي لجريدة « Star » بتورنتو التي وظفته ثانيـة . وعمل في هذا الحقل بعض الوقت ، ثم استقر بعد ذلك في باريس ليصبح نهائياً كاتباً لا غير ، تسدد خطاه في هذا المضمار (جرترود شتاين) وآخرون . ومع ان الكتابة لم تدر عليه غير قليل من المال ، الا ان ما كان يكتبه سرعان ما وجه الانظار اليه فجعلته قصة « والشمس أيضاً تطلع » شهيراً وهو ما زال في العقد الثالث من عمره . ومنذ ذاك الحين لم يقاس من مشاكل مالية ذات بال ، واصبح له بين النقاد والجمهور انصار كثيرون .

ومن جهة اخرى، فان حياة همنغواي كانت مزيجاً من النجاح والخيبة فزيجاته الثلاث الاول انتهت كلها بالطلاق : زواجه من (هدلي ريتشاردسون) ام ولده الاكبر ، و (بولين بفيفر) ام ولديه التاليين ، و (مارثا جيلهورن) القصصية . (اما زوجته الحالية فهي التي كانت تدعى (ماري ولش) من مينسوتا – كل زوجاته الاخريات من سانت لويس – وقد قابلها في انجلترة عام

١٩٤٤) . ولمدة طويلة ، وخلال كل فترة العقد الرابع من هذا القرن التي قضى اكثرها في (كي وست) بفلوريدا ، فان انتاجه قد عمل على اشهاره كرياضي ومصارع اكثر منه ككاتب قصص ناجحة . وخلال العقد الخامس كان كلاله الادبي اكثر بروزاً ، ومع انه لم ينشر سوى كتاب واحد في هذه الفترة الا انه مع هذا كان مشهوراً جداً . وفي مغامراته في الحرب العالميـة الثانية وحدها مادة تكفي لعدة قصص رومانتيكية .

وفي عام ١٩٤٢ قدم نفسه ومعه زورقه الذي يصيد به السمك والمسمى (Pilar) ليكون تحت تصرف مشـاريـع الاسطول المتعددة ، فقبل ، وبقي مدى عامين يجوب البحر بالقرب من شاطىء كوبا ويقوم بعملية شبه انتحارية تهدف الى تحطيم الغواصات المعادية – في تلك المنطقة . وكان عام ١٩٤٤ في انجلترة ، واشترك بصفته مراسلا معتمداً ، في عـدة مهمات قامت بها قوى السلاح الجوي الملـكي . وقبل غزو فرنسة بقليل ، اصيب بحادث تدهور سيارة مما استدعى قطب سبـع وخمسين غرزة في رأسه ، ولكنه انتزع خيوط الغرز يوم نزول الحلفاء في اوروبا . وبعد اختراق جبهة نورماندي التحق بالفرقـة العسكرية التي اختارها ، وهي الفرقة الرابعة في الجيش الاول ، وقد شهد معهـــا كثيراً من

العمليات عند (شني ايفل) في (لوكسمبورغ)، وكذلك الكارثة التي حلت عند غابة (هورتغن) . وفي احدى المعارك ، وحسب رواية الضابط المسؤول في الفرقـــة ، الذي يقول « كنت دوماً اضع دبوساً على الخريطة اعــين به مكان ارني همنغواي الشيخ » ، كان يتقـدم أي شيء في الجيش الاول بمقدار ستين ميلا . ومع انه كان في الظاهر مراسلا صحفياً فقد كان يشرف على جيشه الصغير الذي كان غـير رسمي ، ولكنه كان مع ذلك فعالا — وهو جيش مزود بالسيارات ، ومسلح « بكل ما يمكن تخيله » من اسلحة المـانية واميركية ، ويكاد يكون مثقلا بالزجاجات والمتفجرات . وتذكر كتب التاريخ ان الفرنسيين حرروا عاصمتهم من الالمان ، وهذا صحيح ، ولكن هناك حقيقة اخرى وهي أن همنغواي ورجاله غير النظاميين ، قد اشتبكوا مع العدو في مناوشة عند قوس النصر في الوقت الذي كان فيه جيش (ليكليرك) على ضفة نهر السين الجنوبيـة . وسرعان ما استُقبِل الكاتب وجنوده في فنـدق (الريتز) الذي انفردوا تماماً بتحريره .

ان همنغواي البطل وهمنغواي الذي يعرفه الناس قد نتج عنهما لدرجة ما همنغواي الاسطوري ، وهو انسان خيالي يختلف

عن الواقعي في شيء يكاد يكون مستحيلا تحديده . ان فيه شيئاً يثير في النفس حماسة عجيبة ، ويثير حتى نفوراً أعجب . وكثير من الاشياء التي نظن اننا نعرفها عنه نلمس فيها انها قد لعبت بها يد صحفي . ولكن هناك بعض الحقائق التي نستطيع ان نتثبت منها . وزيادة على الاشياء التي سبق أن ذكرناها ، نقول إن همنغواي يعيش في « مزرعة » تسمى (فنكا فيجيا) على رأس هضبة (سان فرنسيسكو دي باولا) وعلى بعد تسعة اميال خارج (هافانا) . وهو كريم ، عميق الفهم للناس ، واسع الاطلاع ، نافذ البصيرة في الادب ، لغوي الى درجة ما ، وهو بارع في الملاحة والتاريخ العسكري والخطط الحربية . ولعل من المناسب أيضاً أن نذكر انه ، بطريقة خاصة غير مألوفة ، معتنق لمذهب الروم الكاثوليك . واذا تذكرنا المصاعب الشخصية التي قاساها نتيجة ما اصابه في الحرب العالمية الاولى من جروح ، فانه من المؤكد عندها ان يكون من المناسب ان نسجل هذه الحقيقة وهي انه قد تغلب على مخاوفه نتيجة تدريب صارم لارادته القادرة على التأثير . وقد شهد الجنود المحترفون في الحرب العالمية الثانية بأنه بدا لهم اشجع انسان رأوه في حياتهم .

وهو انسان موهوب ، قوي الشخصية ، وفي بعض الاحيان

غريب الاطوار شاذ . وفي « عبر النهر وفي الغابات » تعبر ببال مائق (كانتويل) خاطرة بأن بعض اطوار الكولونيل الغريبةهي نتيجة لكونه قد اصيب مراراً عدة . ومع ان هذا التعليل قد يبدو مرتجلًا وغير صحيح ، الا ان احدى نتائج مغامرات همنغواي الجسدية هي انه ، مثل كانتويل ، يحتفظ في جسده بسجل لأقصى ما يمكن ان يصاب به الانسان من ضربات ، ويعيش . ومن المفهوم انه لا يحب ان يخلد في التاريخ لهذه الحقيقة ، وان كان يبدو ان في هذا بعض الضير فقط او لا ضير ابداً . وان قائمة بأهم الاصابات التي مني بها لمحركة للعواطف حقاً ، بل لعل لها دلالاتها . فقد كسرت جمجمته مرتين على الاقل . وهو يتذكر ما لا يقل عن اثنتي عشرة رجة دماغية ، الكثير منها خطير ، وقد تعرض لثلاث حوادث سيارات خطيرة . وقبل بضع سنوات ، وفي الادغال الافريقية ، تعرض لحادثتي طيران خلال يومين ، اصيب فيهما بعدة جراح داخلية ، فانضغط عموده الفقري ، واصيب برجة بلغ من قوتها ان ضعف بصره بعض الوقت . (وكان ان نشرت قلة من الصحف ، بهذه المناسبة ، نعيه مع ترجمة حياته ، فقرأها بعد شفائه بسرور بالغ ، ذلك لان ما كتبته كان فيه تقدير له). واثناء الحرب وحدها اصيب

بطلقات نارية في تسعة اماكن من جسده ، وكابد ستة جروح في الرأس. وعندما نسف في ايطالية وهو في سن الثامنة عشرة، وترك زمناً على انه ميت ، اخرج الاطباء (٢٣٧) قطعة من الفولاذ كانت قد اخترقت جسده ، وهذه هي التي استطاعوا الوصول اليها .

ان بعض هذا النافل من القول مناسب ذكره عند اية مناقشة لاعمال همنغواي ، ولو لسبب واحد وهو انه يؤكد ويزيد وضوحاً صورته التي نجدها مرسومة في كتاباته . وان نظرتنا لاعماله لتزداد ايضاً وضوحاً وثباتا بالاستعانة بعلم النفس الحديث الذي يفسر لنا كيف صار الكثير من الاشياء الموجودة في همنغواي الى ما هو عليه . وليس المجال هنا مجال الخوض في ما في نظرية التحليل النفسي المعاصرة ، مما تلا فرويد ، من دقة واوهام ، ولكن لعله ليس من نافلة القول ان نشير الى ان مثل هذه النظرية تستطيع ان تعطي تفسيراً لشواغل البال التي نجدها معكوسة في كتب همنغواي وحياته . ان احلام بطله المزعجة وسهاده (وقد لازماه عند اول جرح خطير اصابه) ، وانشغال باله بالموت وبالمنظر الذي كاد يكون نهاية مبكرة له ، وعشقه لصيد الحيوانات والسمك، ومدى ما يتمتع به من قوى فكرية

– اقول ان هذه الاشياء كلها و كثيراً غيرها قد نجد لها تفسيراً في مصطلحات التحليل النفسي . وقد كانت هذه تسمى في السابق « صدمة القنبلة » Shell Shock وهي الآن تسمى « اعتلالا عصبياً سببه جرح » Traumatic Neurosis. والتسميـة ليست بذات قيمة كبيرة ، والفكرة هي ان فهمنا لهمنغواي له سند طبي ، اذا كان هذا ما نريده . والفكرة التالية لهذا هي ان كتاباته قد سجلت باخلاص و دقة بالفين السبيل الذي يسلكه هذا المرض ، فكانت بهذا مصداقاً للنظرية الطبية .

وهنا لا يجوز ان نستنتج ابداً ان هذه الفكرة تقلل بأي حال من الاحوال من قيمة الاعمال التي قدمها همنغواي . بل ان العكس هو الصحيح بالتأكيد . وقد علق في « وداعـــاً ايتها الحرب » قائلًا : « الحياة تكسر كل انسان ، وكثيرون بعـد ذلك يصبحون اقوياء في الاماكن التي كسروا فيها » . وسيرته نفسها مثل باهر يوضح هذه الفكرة . وقد طور قوته الشخصية والفنية حتى اصبحت شيئاً هائلًا ، ويمكن الاستشهاد بتجربـة عدد كبير من الناس لنثبت بأنه كلما زادت معرفتنا بالرجل وبما قدم ، كلما كان من المحتمل ان يزداد اعجابنا به .

ولكن همنا الاول يجب ان يوجه بالتأكيد الى همنغواي

الكاتب ، لا همنغواي الرجل–ودون ذلك الاحداث التاريخية– ومن الثابت ان ما انجزه عظيم القيمة من الوجهة التقنية . وفي رأي كثير من الناس ان اسلوبه النثري البسيط العذب الصافي هو السبب الحقيقي لشهرته وخلوده. ويظهر ان اولئك المسؤولين الذين منحوه جائزة نوبل للآداب يحملون هذا الرأي ، فقد اكدوا عندما منحوه الجائزة في عام ١٩٥٤ على « تمكنه من ابداع اسلوب في فن القصة الحديثة .. » .

ومن المؤكد ان ما ذهب اليه البعض من ان اسلوبه لم يستمد من اي نبع آخر ليس صحيحاً. والواقع انه قد مر بتطور طويل المدى يمكن ان يقال انه بدأ عندما كتب مارك توين اول فقرة في « مغامرات هكلبري فن » Adventures of Huckleberry Finn (١٨٨٤) . والشيء الذي كان يحاوله توين في هذه القصة واضح : انه كان يحاول ان يكتب كما يتحدث الصبي الامريكي – اعني لا ان يكتب اسلوباً انجليزيا «ادبيا» ، بل لغة انجليزية طبيعية كلغة الحديث ، او على التدقيق لغة امريكية طبيعية كلغة الحديث ذلك لان توين كان اول رجل « يكتب لغة امريكية » ، او على الاقل اول من اجاد كتابتها حقاً . فقد وجد حيوية وشاعرية في ذاك الكلام الذي لم يفقد ذرة من قيمته على مرور السنين . وان من المبالغ فيه

جداً ان نقول ، كما قال همنغواي نفسه ، بان « كل الادب الامريكي الحديث » مستمد من ذاك الكتاب ، ولكن مما لا شك فيه ان الكتاب يمثل البداية الحقة لاسلوب امريكي معاصر واسع الانتشار .

وقد جاء كتّاب بين(توين) و (همنغواي)خلال هذاالتطور. ومن الممكن ان نضع قائمة عجيبة تبين اوجه الشبه بينه وبين كاتب جاء اثناء هذا التطور : ذلك هو ستيفن كرين . ان كلا منهما سافر للاشتراك في حرب ، وكل واحد اصيب بصدمة قاسية عند وفاة والده ، وطفولة كل واحد منهما شوهتها التجربة العنيفة ، وكل واحد وجد في الحرب مبرراً قانونياً للانغماس في العنف ومجازا لازما للحياة ، وكل واحد اختبر نفسه وشهد له في النهاية بالشجاعة ــ الى آخره ... ولعل هذه الامور كلها تعيننا على تفسير هذه الحقيقة وهي ان الكثير جـــدا من خصائص نثر همنغواي ــ مثل التركيز ، واحكام السبك ، والنغمة غير الادبية ، وكثيراً من خصائص الحوار ــ يمكن ان نجدها اولا عند كرين عندما يكون في احسن حالاته . (وهذا دين اعترف به ضمناً همنغواي ايضاً) .

ان اية محاولة للكتابة بأسلوب بسيط مقتصد مقتضب ومع

هذا فيه تكرار – صاف خال من الكليشيهات والمترادفات « المصنوعة بمهارة » ، ولا شيء الا اصغر الكلمات وابسطها – اقول ان اية محاولة من هذا النوع من ان تكون قد استفادت ايضاً من جهود جرترود شتاين . وبالاضافة الى هذا فان بواكير قصص همنغواى تبدو مدينة لـ (شيروود اندرسون) ، كما يبدو ايضاً ان لعدد كثير من كتاب آخرين بعض الاثر على الاقل في تكوينه . ولا بد بين هؤلاء الاخرين من ظهور اسماء :ف. سكوت فيتزجيرالد، ازرا باوند، رنجلا ردنر،جوزف كونراد، فورد مادوكس فورد، ايفان ترجنيف ، في اية قائمة تدعي انها كاملة .

ان جميع الكتّاب تقريباً يبدو في بواكير كتاباتهم ما هم مدينون به . وعلى كل حال فان الوضع في قضية همنغواي معقد . والحقيقة ان ثماني عشرة اقصوصة من اقاصيصه الاولى،والمسودة الاولى لاول قصة – وهي خير نتاجه في مدى اربع سنين – كانت في حقيبة سرقت من زوجته الاولى في القطار الذاهب الي (لوزان). وهكذا فقدت الى لا رجعة تقريباً المواد التي تسجل بالتأكيد الخطوات المتعثرة والتقليد عند انسان يقبل على تعلم مهنة جديدة . ولكن لم تضع بضع نسخ من كراس بعنوان

«ثلاث قصص وعشر قصائد» Three stories and Ten Poems
كان قد نشره في (ديجون) في عام ١٩٢٣، وهذه هي التي يجب ان نقف عندها . وكما يوحي العنوان فان همنغواي بدأ شاعراً، وهي بداية خاطئة . ومعظم الشعر في هذا المجلد يذكرنا امابشعر (ستيفن كرين) او (فاتشل لندساي)، وليس له اية قيمةحقيقية اخرى . ومن ناحية اخرى فان القصص الثلاث — «هنالك في ميتشيغان» و «بعد الاوان» و «شيخي» — اعمال متقنة، ولهذا السبب اعيد طبعها في مجموعة «في عصرنا» . وهذه القصص مازالت تشي ببعض مؤثرات كتاب اخرين فيه، كما انها تحتوي على المحاولة الاولى لهمنغواي في الميدان الذي اصبح عمله الرئيسي .

واوضح ما يكون دينه لـ (شيردود اندرسون) ، اذ أن اقصوصة «شيخي» تبدو بوضوح وكأنها نسخةاخرى من «اريد أن اعرف السبب» لاندرسون التي اعيد طبعها كثيراً والتي ظهرت قبل ذلك بسنتين . وكلا القصتين عن سباق الخيل ، ويقصها صبيان بلهجتهما الخاصة . وفي كل منهما يجابه الصبي مشكلات فوق سنه بينما هو يعاني زوال وهم مؤلم مع رجل اكبر منه كان وثيق الصلة به . (وقد ادعى همنغواي بأنه لم يكن قد قرأ أي شيء لاندرسون عندما كتب « شيخي » ، فاذا صح هذا فان

فان المصادفات الموجودة تسترعي الانتباه حقاً) . واقصوصة « بعد الاوان »، وهي حكاية محبين واقعين تحت تأثير وهم زائل، تذكرنا بقصة سكوت فيتزجيرالد «الجميل الملعون» TheBeautiful and Damned (١٩٢٢). اما «هنالك في ميتشيغان» فهي اكثر الاقاصيص الثلاث اهمية ، وهي تصور الدخول لاول مرة الى عالم جديد ، وهي موازية تماماً لقصص (نك ادامز) التي كتبت بعد حين . وتقع احداثها في موضع « المعسكر الهندي ». وكما ان (نك) في تلك الاقصوصة قد تعرض مبكراً للعنف والوحشية والألم ، كذلك فان في هذه الاقصوصة فتاة تدعى (ليز) تتعلم درساً مشابهاً ، ولكنه درس خاص بالفتيات . والبساطة المقصودة في « هنالك في ميتشيغان » تذكرنا بكل من اندرسون وجيرترود شتاين ، ولكنها متوقدة الذهن بالنسبة للأول وبعيدة في موضوعها عن الثانية . وكل ما كان على همنغواي ان يفعله ، بعد ان انتهى من كتابتها ، هو أن يتخذ شخصية اولى يستطيع أن يرى فيها نفسه بوضوح اكثر ، فكان من هذا مغامرات (نك ادامز) .

واثر كتّاب آخرين حتى على كاتب مشهور كهمنغواي ، يبدو احيانا حتى في كتابات مكتملة النضج . وخير ما يستشهد

به هنـــا اقصوصتان من احسن اقاصيصه واكثرها اشتهارا هما « ثلوج كلمنجارو» و «حياة فرنسيس مكومبر السعيدة القصيرة ». ومن الثابت ان كليهما من صنع همنغواي ، وانهما في جوهرهما معتمدتان او متصلتان بقصص سابقة . ومن جوانب « الحيـاة السعيدة القصيرة» انها وصف مسهب لطريقة تعلم القانون الاخلاقي وقيمته . ان مكومبر الجبان يتعلم القانون من ويلسون دليـله الصياد المحترف ، ويصبح اثناء ذلك ، ولفترة قصيرة سعيدة من حياته، رجلا . انه يجابه الخطر اولا بخوف راعب ،وعندما يحين الخطر يولى مدبراً ويهرب مذعورا . ولكنه في المناسبة التاليـة يستيقظ من غيبوبة على أثر صراع ليكتشف بأن خوفه قد زال، وانه قد استرد رجولته ، وان حياته قد ابتدأت (ولو للحظة قصيرة).

ان هذه الاقصوصة اصيلة،يفوح منها عبير همنغواي،ولكنهافي معالجتها للعلاقات السيئة بين (مكومبر) وزوجته (مارجو) ، انما تبدو تطويراً دقيقاً وتجسيداً لبعض افكار عن العلاقة بين الجنسين في امريكة اوردها د.ه. لورنس في مقال كان قد كتبه عن قصة «الشارة القرمزية» لـ (هوثورن) . وفوق هذا وأهم منه بكثير فانها تعالج قضية الخوف والرجولة ، وهي هنا تكاد تكون اعادة

دقيقة للاقصوصة التي اوردها ستيفن كرين في « وسام الشجاعة الاحمر »، وهي اقصوصة عبر همنغواي عن اعجابه البالغ بهـا ، ولعله كان مغالياً في هذا الاعجاب .

وشبيه بهذا «ثلوج كلمنجارو» وقد امتدحت تقنيتها كثيرا، وهي اهل لهذا المديح . وهنا ايضاً نجـــد ان القلة هي التي لا تستطيع ان تتبين فيها اثار عمل كاتب اخر، فالرمزان الاساسيان - وهما النمر الارقط والجبل-مأخوذان من (دانتي)و(فلوبير)، اما بناؤها غير العادي ابدا فنجد شبيهاً له مماثلاً تمام المماثلة في رواية تجريبية سابقة نشرت عام ١٨٩١ للكاتب امبروز بيرس تدعى « An Occurrence at Owl Creek Bridge » وهي اقصوصة عرف عن همنغواي انه كان معجباً بها ايضاً. وكلا الاقصوصتين تتحدث عن رجل مشرف على الموت يتصور انـه قـد افلح في النجاة منه بطريقة يبلغ من واقعيتها ان تعمى حقيقتها على القارىء فيعتقد انه قد نجا فعلًا . وكلاهما تبدأ بموقف فيه الموت محدق وشيك الوقوع ،ثم ترتدان بسرعة لتشرحا كيف صار الموقف الى ما هو عليه ،ثم تسرعان«الى الامـام» الى النجـاة المتخيلة ، لكي تنتهيا بالخبر الحقيقي وهو ان الموت قد حدث فعلا .

وتبدو في بعض اعمال همنغواي الاطول مشابه من مثل هذه

العلاقات . واذا كانت «من يملك ومن لا يملك» مثلا ليست مدينة كثيراً لمثل هذه المجموعة من الكتب المغايرة مثــــل « عولس» لجيمس جويس و «Moran of the Lady Letty» لـ (فرانك نوريس) و«ذئب البحر»لـ(جاك لندن) ،فان تحت ايدينا مجموعة من المصادفات المستحيلة .وعلى كل حال فان هذا لايعني ابداً ان كتابات همنغواي تبدو مقتبسة ، وان ساور (جيرترود شتاين) مثل هذا الظن فقالت : «انه يبدو كاتباً مجدداً ولكنه في الواقع تفوح منه رائحة المتاحف».وقد عارضها(ادموند ولسون)فقال: « لعل همنغواي هو اكثر انسان نجح في الهرب من المصير الذي تتردى فيه الحياة الادبية العامة وهو الاقتباس من الاخرين ». ووافقه على رأيه هذا(الفرد كازن) فكتب بأنه «لا صلة جوهرية تربطه باية ثقافة سابقة للحرب» .

ومن الممكن جداً ان تكون كل هذه الاحكام خاطئة ،فقد اخذ همنغواي الكثير عن كتاب اخرين ، اما انـه تفوح منـه رائحة المتاحف فان الانسة شتاين كانت واحدة من قلةاستطاعت شمها. ان حاله حال الكثر من الكتاب ، فقد استقى من اولئك الذين سبقوه والذين هدته تجربته وذوقه الى ان عندهم معاني عميقة جذابة . وقد صبغ ما استقاه بصبغته الخاصة بشكل واضح لا

ينكر، وذلك بسبب قوة شخصيته وبراعته في صنعته .

والامر اللافت للانتباه اكثر من هذا هو ان همنغواي لم يكد يبدأ الكتابة حتى أخذ كتاب اخرون يقلدونه . ولعله لا يوجد بلد تقرأ فيه الكتب الامريكية الا وتأثر ادبه بكتابات همنغواي. اما في وطنه فنحن معتادون اثره بحيث لا نكاد نلحظه ابدا. ومن ناحية ايجابية فانه قد علمنا قيمة الموضوعية والصدق ،كما ساعد على تنقية كتابتنا من المبالغات العاطفية، والزخارف الادبية، والحشو ، والمهارة السطحية .وقد استطاع وحده تقريباً ان يبعث الحياة في كتابة الحوار .وقد تجاوز تأثيره هذه الحدود فشمل العوالم شبه الادبية ،ولكن النتائج كانت اقل نجاحاً بكثير ،والخطأ هنا ليس خطأه .وترينا كتابات عدد من الكتاب، وبخاصة كتاب «المدرسة البوليسية العنيفة » tough-detective school ، ماذا يحدث عندما يتناول الاخرون وجهات نظر واساليب لها معان عند قصصي ،فتصبح عندهم ذات معان مختلفة ،او لا معنى لها. والعنف هو لب كتابات همنغواي الحافلة بالمعاني ، ولكن العدد العديد من كتاب القصص والاقاصيص الذين اقتبسوا منه قد امسكوا بكيس من الحيل – وهي عادة خليط من القسوة والجنس والشخصيات الاولى القائمة على مفاهيم شوهاء لهذا البطل او ذاك

او لكليهما . لقد استحالت معانيه في ايديهم الى معان رخيصة دنيئة او انها لا تمت الى المعاني الاولى بصلة .

واسلوب همنغواي النثري هو اكثر شيء قلده الناس فيه ، والاحترام الكبير الذي ناله سببه هـذا الاسلوب . ومن السهل التعرف على اسلوبه ، فهو على الغالب الاعم عـامي متميز ، اولا وقبل كل شيء ، ببساطة واعيـة في التعبير وتركيب الجملة . والكلمات عادة قصيرة مألوفة ، في استعمالها اقتصاد بالغ ، وجدة مدهشة ايضاً . وقد سبق ان علـق (فورد مادوكس فورد) بعبارة كثيراً ما استشهد بهـا عن جدارة ، وهي ان كلماتـــه «تستوقفك كل واحـدة منها وكأنها حصاة جلبت حديثـاً من جدول» . والجملة الممثلة لاسلوبه هي الجملة البسيطة المفصحة ، او الجملتان من هذا النوع مربوطتان بحرف عطف . ونتيجة هــذا الاسلوب مزيج من الرشاقة والنصاعة والوضوح والعناية المدققة. (وهذه العناية المدققة تبدو في انشائه ، فهو يكتب باناة زائدة ، ويكثر من مراجعة ما يكتب . وهو يدعي بانه قد اعاد كتابة الصفحة الاخيرة من « وداعاً ايتها الحرب » تسعا وثلاثين مرة ، وانه قد قرأ مخطوطة «الشيخ والبحر» نحو مئتي مرة قبـــل ان يرضى عنها).

واسلوبه لا عقلاني لدرجة باهرة ،فالاحداث توصف تماماً بالترتيب الذي حدثت فيه دون ان يعمل العقل على اعادة تنظيمها او تحليلها ،والاحاسيس تجد طريقها الى القارىء دون ان يختلط بها تعليق من المؤلف،ولهذا كان تأثيرها ذا واقعية حادة لا يقدم الكاتب فيها شيئاً سوى المنبهات . ولما كان العنف والالم هما الموضوع الذي تدور حوله في الغالب ، فقد نتج عن هذا ان كان من آثار هذا الاسلوب البارزة: العنف او الايجاز في البيان. ان المنظر المرئي ضيق محدود ، والتركيز عليه حاد .

والحوار عنده فيه هذه الروعة ايضاً ، فان لـ (همنغواي) اذنا كالمصيدة تصطاد نبرات لغة الحديث واساليبها، والى هذا السبب تعزى قدرته على بعث الحياة في الشخصية سريعاً . ومن الجدير بالذكر ان الحديث عنده بعيد عن ان يكون تسجيلاً بسيطاً للطريقة التي يتحدث بها الناس . وما نجده عنده هو ان الديالوج يجرد الحديث من كل الاساليب وردود الفعل التي ليست جوهرية ومميزة للمتكلم، ويجعلنا نتوهم واقعاً يقصر عنه الواقع نفسه .

ان هذا الوصف المختصر «لاسلوب همنغواي» ليس فيه شيء جديد تماماً، ولكن الاهداف، والتضمينات، والمعاني البعيدة في

هذا الاسلوب الكتابي هي التي لا نعرفها جيداً كما نعرف اسلوبه. ان لكل اسلوب محتوى ،وطريقة صياغـة الاسلوب المتميز لهـا معانيها الخاصة. والاشياء التي يحسن اسلوب همنغواي نقلهـا هي الاشياء نفسها التي يقولها دون تدبر . واسلوبه ينقل من المعـاني على قدر المعاني نفسها ،وهو والمعاني لا ينفصمان . والقيود البالغة التنظيم المفروضة على البطل وجهازه العصبي، توازي تمام الموازاة الجمل البالغة التنظيم ايضاً .و«عدم عقلانية» الاسلوب هو انعكاس وتعبير عن الحاجة الى«التوقف عن التفكير» عندما يعني التفكير تذكر اشياء مزعجة .وبساطة نثره البالغة هي طريقة من طرق القول بان الاشياء يجب ان «تَبسّط»،والا ضاع البطل و«بطريقة لا تتصورها ابداً». واسلوبه، بما فيه من اقتصاد وحـدة، يجعـله يملك زمام القليل الذي يمكن السيطرة عليـه تماماً .وهو اسلوب متوتر، لان الجو الذي يحدث فيـه الصراع من اجـل السيطرة متوتر، والتوتر في الاسلوب يعبر عن هذه الحقيقة.

ان هذه الخواطر لا يقلل من قيمتها تذكرنا بان اسلوبه قد تطور واكتمل في الفترة ذاتها التي كان فيها المؤلف يحاول أعادة تنظيم شخصيته على اثر تبدد قواه في ايطالية . ان هذه المحاولات وجهان لمحاولة واحدة . وقد كتب همنغواي في اقصوصة تدعى

«الاباء والابناء» بانه اذا كتب اشياء فانه يستطيع التخلص منها، ومن المناسب هنا ان نضيف بانه قد كتبها بالاسلوب الذي يجعله يتخلص منها . وان النظام الذي خلق الشخصية الجديدة لهو نفسه الذي خلق الاسلوب النثري الدال على هذه الشخصية. فالاسلوب هو الصوت المبين للمحتوي ،وهو غاية الرجل وهدفه ،وهو نصر حققه على صورة غاية في الابداع . انه الوسيلة التي اصبح بها الرجل . ولا اظن ان القول القديم الشائع يصدق كما يصدق هنا وهو : انالاسلوب هو الرجل .

اكثر الانتقادات الموجهة لهمنغواي شيوعاً تدور على انه قد ابتعد كثيراً جداً عن اصوله وتقاليد بلاده ، فكانت النتيجة ان ضل طريقه . والذين يوجهون هذا الانتقاد يقولون عادة ان على المؤلف ان يعود ادراجه متخذاً تقليداً كالذي نجده في قصة مارك توين «هكلبري فن» -والمظنون انهم يشيرون الى هذه القصة بالذات لانها تبدو ،بالاجماع تقريباً ، اكثر القصص كلها تصويراً للروح الامريكية. ومن الثابت ان هذا هو الكتاب الذي قال عنه همنغواي ان كل الكتابات الامريكية الحديثة مستمدة منه . وهنا يفرض الشك نفسه علينا بان احدنا قد اختلط عليه الامر .

والواقع ان النقاد هم الذين اختلط عليهم الامر ، وبعض السبب في هذا مرده الى عدم ادراكهم للأعماق ومواطن الحذق عند الكاتبين . والحقيقة الطريفة هي انه اذا كانت الصورة المرسومة لاعمال همنغواي التي ناقشناها هنا فيها بعض الصواب، وهي صورة فيها العنف ،والجرح النفسي ، والهرب فالموت — اقول اذا كانت هذه الصورة صحيحة ، فان همنغواي عندها لا يكون قد ابتعد كثيراً عن « هكلبري فن» وان القراءة الدقيقة لتلك القصة لترينا فيها تلك الصورة نفسها تماماً. ان «مغامرات هكلبري فن» و(نك ادامز) من اثلة واحدة—يقول (هك) عن مشاهدته لنزاع —جرانجرفورد شبردسون : « لقد امرضني حتى كدت ان اقع عن الشجرة »،ويقول :«لن اقول كل الذي حدث .... ولشد ما اتمنى لو انني لم انزل الى الشاطىء في تلك الليلة وارى مثل تلك الاشياء — ما اكثر ما حلمت بها !».

وما في القصة من بشر طافح او شاعرية عن هذا الصبي يصرفاننا بسهولة ، ولكن خطأ ، عن اراقة الدماء التي تكوّن جزءاً كبيراً من معاني الكتاب وتترك اعمق الآثار في (هك) . وقد كان من الممكن ان تكون الحياة على المسيسبي حوالي عام

١٨٤٥ مضرجة بالدم ، وقد بنى توين قصته اولا على تجاربه التي مر بها وهو صبي او التي كان على علم تام بها ، ولم يستطع أن يشفى منها تماماً . (فنحن نعرف مثلا انه شهد أربع حوادث قتل) . ولقد وجد جزء كبير من تجربته طريقه الى هـذا الكتاب فصار من المستحيل فهم القصة تماماً دون ادراك مايؤدي اليه كل هذا العنف من نتائج . ولكن النتائج واضحة : فتعرض (هك) الكثير للعنف ترك فيه اخيراً جراحاً . ان كل حادثة تترك اثراً ، وكل اثر يترك جرحاً . وكل حادثة هامة في القصة، باستثناء مناظر (توم سوير) النافلة في البداية والنهاية ، تنتهي بالعنف ، والوحشية الجسدية ، وعادة بالموت . وكل قصة حافلة باراقة الدماء والألم ، وفيها ثلاث عشرة حادثة قتل تقع في فترات منفصلة عن بعضها . ونتيجة هذا كله ، والنتيجة الوحيدة المناسبة للحبكة الرئيسية ، هي انها تؤدي الى اصابة (هك فن) بالجروح. وهو اما تعذبه الاحلام المزعجة او لا يستطيع ان ينام(« لم استطع النوم بسبب التفكير »)، ويمرضه — من ضمن اشياء اخرى — التفكير في رجل ترك وحـده ليغرق ، وبيع بعض العبيد ، ومغادرة الدوق والملك ، ملطخين بالقـار ، مزينين بالريش ، راكبين على قضيب سكة حديد . وهو بالاضافة الى هـذا قد

اصبح مشمئزاً من الجنس البشري بوجه عام . وبسبب تعرضه الى مزيد من مناظر الدم المراق ، والغرق ، والموت المفاجىء لدرجة لا يستطيع تحملها ، فانه هو نفسه يصبح ضحيتها . وقد استطاع ماركتوين من تجربته الخاصة ان يتنبأ بأن : (هك) لن يشفى منها أبداً .

من الواضح جداً أننا نجد هنا صورة العنف والجرح النفسي التي نقرأها في همنغواي . كما نجد في الكتاب نفسه أيضاً باقي اجزاء الصورة من هرب وموت ، ولو انها مغلفة بالرمزية نوعاً ما . ومن الثابت ان كل رحلة (هك) سلسلة من الهرب ـ وهو على الاغلب الاعم هرب باتجـــاه مصب نهر زخار مليء بالاسرار . ورحلته العجيبة باتجاه مصب نهر المسيسبي الفاتن ، رحلة غامضة مبهمة كثيرة الاتجاهات ، وهي تستحيل في النهاية الى هرب لا كد فيه ابداً نحو عالم مجهول مظلم صامت . ومن ناحية رمزية فان (هك) يهرب من اشياء لا يعيها كلها ، والى شيء لا يستطيع العودة منه ـ اذا كان المراد من هذا المعنى الحرفي لا المجازي . وتسيطر علينا دوماً رحلته الليلية الصامتة التي لا كد فيها منحدراً مع المجرى الاسود الزخار . وفي النهـاية تنقلنا هذه الرحلة من حياة صاخبة ، مؤلمة ، صعبة ، الى السلامة

الموجودة في الهرب الاخير . وفي النهاية أيضاً نجد توين قد اضطر الى التخلي عن (هك) ليدير القصة حول (توم سوير) . وليس من العسير ايجاد السبب : ان (هك) قد اصبح يعز على المعالجة . و (هك) الصبي المحطم الذي تعذبه الاشياء المرعبة التي شاهدها وعاناها ، والذي يقض مضجعه الارق والاحلام المزعجة والذي طلق مختاراً المجتمع الذي نشأ فيه – ان هـذا الصبي لا يستطيع ان يحل له مشاكله انسان لم يستطع حل مشاكله الخاصة التي اضفى عليه الكثير منها . ولم يستطع المؤلف ان يدرك انه برحلته المائية كان يلمح دوماً الى حل : وهو ان التعرض المفرط للقسوة والموت قد نتج عنه اولا توق قسري الى الموت ، ونتج عنه اخيراً رمز مثالي له .

ان المشابهة تامة بين الشخصيتين ،فكل من (هك)و (نك) ، بطل همنغواي الممثل للجنس البشري ،حساس ، مائل الى السلبية ولكنه ولد شجاع وفيه رجولة،وهو متوحد منطلق لا يرضى عن مفهوم الاحترام ، وبخاصة كما تمثله امرأة في البيت تكثر من الاستشهاد بالكتاب المقدس . وكل منهما يهـرب من البيت ، و«البيت» في كلتا الحالتين – سواء في ذلك سانت بيترسبرج او شمال ميتشيغان – مكان حافل بالعنف والالم ،ولكن مع انـه

كان من السهل الهرب من القيود الاجتماعيـة المتمثلة في ضروب الاحترام ، الا ان الصبيين قد ارتطما بوحشية الانسان بقسوة لا حد لها . و كلاهما قد آذتهما هذه الوحشية ، وانتهى الحال بهما بان ثارا ثورة عارمة على مجتمع يرعى مثل هذه الاشياء المفزعة او يسمح بها .ويقرر (نك) بانه ليس وطنياً مخلصاً لبلاده ويعقدصلحاً منفردا مع العـدو . ويقرر (هك) ان يعتنق الشر ويذهب الى الجحيم ،وينسل الى بلاد بعيدة ليكون البطل في اراضي اجنبية. ويكاد ان يكون (هك) و (نك) توأمين . ان (هك) ، وبطل همنغواي ، بطلان من اشهر ابطالنـــا ، وهما ضحيتان امرضتهما « معرفه الشر » التي يقال عادة ان الامريكيين يفتقرون اليها .

ان موضوع الصبي الذي يحطمه العالم الذي ينشأ فيه ، مستمد من قصة من أقدم القصص،ومن قصة من اعظم القصص الامريكية كلها ، وهي القصة التي تروي التقاء البراءة بالتجربة . وقد كان هذا الموضوع موضوعاً اساسيا عند اول اديب من ادبائنا وهو (تشارلز بروكدن براون) ثم شاع في ادبنا منذ ذلك الحين.وفي النصف الثاني من القرن التاسع عشر كان هذا الموضوع يحكي ما يمكن ان يدعى قطبي تجربتنا القومية ــاعني على الحدود وفي

اوروبة . وعن طريق انسياب المسافرين المستمر الى الخارج ، فان مسرحية التقاء الشباب والشيخوخة قد مثلت اولا في اوروبة، وهنا نجد ان تطورات الموضوع قد امتدت على نطاق واسع : فمن قصص الابرياء الهزلية الفجة في الخارج ،الى حذق (هوثورن) و(جيمس) وتصويرهما للزوار الامريكيين واثر النظام الاجتماعي الاوروبي فيهم .

ان القصة قصة امريكية عظيمة ، لا لانها فقط معتمدة على تجربة كل رجل اثناء نشأته ، ولكنها ايضاً عظيمة بالنسبة لتاريخ هذه البلاد بالذات .فبعد ان تم اكتشافنا تماماً واصبح لنا كيان واتحدنا ، بدأنا نكتشف بدورنا العالم ،وانتهت هذه المغامرة بتعريفنا لانفسنا على ضوء الناس الذين لم يبدوا لنا مثلنا ،او لم نبد لهم مثلهم .

وتشترك قصتا (هك فن) وبطل همنغواي في هذا الموضوع العام ، فهما تحدثاننا ايضاً ماذا يحدث عندما تلتقي البراءة ، او الفضيلة التلقائية ،بشيء مغاير لها . وهما ايضاً متفرعتان عن هذا الموضوع مع بعض التغيير .ان الكوميديين المسافرين في اوروبة يعرضون جهلهم ولكنهم عادة هم الذين يضحكون الضحكة الاخيرة .ويستفيد عادة المسافرون الاكثر جدية على حساب

آلامهم ، ولكنهم يحسنون التصرف اثناء ذلك ، ويظهرون على الاغلب نوعا من القوة مصدرها الصفاء والنقاء . اما القوة التي تجبه طيبة (هك) و (نك) الطبيعية فليس فيها اي دهاء . انها العنف ، تجربة الحدود الاساسية ، وهي ايضاً في عصرنا ــ عصر الحرب ــ تجربة الامريكي في اوروبة . وليس هناك اي نصر في الضربات التي تنالها البراءة ، ولا في الاشياء التي تحدث لها بعد ذلك .

ان تكرار (همنغواي) لقصة (توين) يؤكد استمرار التجربة الامريكية من قرن الى آخر ، ويعزز معنى كل من القصتين على حدة . ان القصة تبدأ بنغمات صاخبة اضخم مما يبدو ان الحقائق نفسها تبيحه . والواقع اننا نستطيع ان نسميها «اسطورة» ، مدركين اننا هنا نستعمل بتصرف اصطلاحاً امتهن استعماله . وعلى كل حال فانها قصة قوية الايحاء تنسجم ، دون غرابة ، مع كيان المذهب المسيحي ، فتروي مرة ثانية سقوط الانسان نتيجة الخطيئة الاولى [1] ، وفقدان الفردوس . الا انها اسطورة امريكية تكشف عنا بطريقة تعجز عنها الابحاث التاريخية والاجتماعية والفلسفية . انها تتحدث الى اهل البلاد التي نبتت فيها ، والى العالم ــ اذا

---

(١) خطيئة آدم . (المترجم).

كان يهمه ان يسمع ـ و كأنها تقول : لقد خرجنا الى العالم مبتسمين نريد الخير للعالم ولرصفائنا بني الانسان . ونحن نرى انفسنا فيها في صورة ولد طيب بطبيعته ، بريء ، بسيط ، متحمس للحياة ، جم الآمال . ولكننا في اثناء خروجنا للعالم طرحنا ارضاً ، فصار من الصعب علينا بعد ذلك ان نعود ادراجنا الى حيث كنا .

ويبدو ان هذه القصة تدل مقدما على ان في الامريكيين رغبة بريئة في حياة لائقة ، كما تدل على شعور بالخيانة . وهي تقول اننا اردنا ان نكون عادلين رحماء ، واننا لم نرد شراً باحد . ولكنها تقول ايضا اننا عندما شببنا عن الطوق وجدنا الشر في كل مكان ، فذهبت بهذا آمالنا هباء . ان هـــذه الاسطورة محاولة لتفسيرنا : تفسيرنا لانفسنا وللعالم . وهي محاولة ايضا لتفسير السبب الذي يجعلنا غير سعداء تماما ولا أصحـــاء ـ على الرغم من كل الاساطير الاخرى المعارضة لها ، والمصورة لما وصلنا اليه من نجاح ، وتقدم ، وبعض نواحي الخير في تقدمنا التقني ، وما شابه ذلك . وهي تقول ، وبنوع من الاستحالة ، باننا كان يمكن ان نكون سعداء تمامـاً واصحاء ، وان ذلك كان بمقدورنا ، لولا ان العـالم الذي وجدنا لنعيش فيه قد جرحنا قبل ان نشب . ان الجمـــال الاصيل لبلاد جديدة ، وتوقع امكانات الحياة في بلاد كانت تبدو

اكثر اغراء من كل بلاد العالم منذ جنة عدن -ان هذه لم تكن الا جزءاً من خدعة انتهت بنا نهاية سيئة، وكان من الواجب ان تنتهي بنا عند الطبيب .ومن الطبيعي ان هذه ليست قصة نؤمن بها حرفيا ،فليس هناك اية اسطورة تحتمل على معناها الحرفي والا لما دعوناها ،في يومنا هذا ،اسطورة .ولكن على سبيل التشبيه ، وعلى المستوى المجازي ،فان المرء يشك باننا نعتقد بشيء من هذا فيما يتعلق بتجربتنا مع العالم .

* * *

وتبقى بعد هذا كلمة عن عالم همنغواي - هذا العالم الذي جعل تجربته تثير مخيلته فيبدع الكتب. ومن المؤكد ان هذا العالم الذي يعرض علينا محدود جداً . وهو في النهاية عالم في حرب -وهي حرب اما بالمعنى الحرفي للكلمة بما فيها من صراع مسلح وخطة مرسومة ،واما بالمعنى المجازي لها فتعني العنف المحتمل الوقوع والحادث ،والمعاداة عامة . والناس في هذه الدنيا يعملون في مثل هذه الظروف الشبيهة بالظروف التي تفرضها الحرب- من فزع ، واخطار طارئة ، وخوف يسمر الشفتين ، ولذة مقتنصة على عجل .وبسبب ضرورات الحرب الملحة القاسية ، فان متعهم مقيدة جداً بتلك الاشيـــاء التي تستطيع الحواس استساغتها ،

واخلاقهم نفعية فظة : فالعمل الاخلاقي عندهم هو ما تحس بعده بانك قد حققت كسباً. ويتصل بهـذا ، القانون الاخـلاقي الذي يلخص فضائل الجندي ،وهي اخلاق أيام الحرب . ومحـاولات الهرب تسير حسب قواعد الالعـاب الرياضيـة التي تؤلف القانون الاخلاقي للهدنة الحربية التي هي تعديل مؤقت لقواعد الحرب في ايام السلم .

وعالم همنغواي عالم لا تنمو فيه الاشياء وتثمر ،بل تنفجر، وتتكسر ،وتفسد وتبلى. والذي يقي هذا العالم من البؤس المطلق ما فيه من صور التحمل ،والمقدرة،والشجاعة،وما يمكن ان يعطي الجسد من سعادة عندما يكون غير متألم ، وما فيه من لحظات حب لاتدوم اكثر من وقت الاجازة ، وما فيه من لذة يجدها المرء في البلاد التي يستطيع زيارتها او يصيد السمك والحيوانات فيها ،ويجدها كذلك في المقاهي التي يستطيع ان يجلس عليها،واشياء اخرى غير هذه معدودة. وشخصيات همنغواي لا «تنضج» بالمعنى الشائع لهذه الكلمة ،ولا تبلغ «سن الرشد». ومن المحال تصورها في وسط عائلي تذهب الى صناديق الاقتراع للادلاء باصواتها او تقوم بدفع ما عليها من ضريبة دخل . انه عالم محدود جداً ، وهو عالم يراه من شق في جدار رجل مسلطة عليه بندقية. ان المنظر

المرئي يسيطر عليه العنف ويصر على ان نجد الانشغال العنيد بالعنف الذي هو اصدق صورة لعصرنا .

وقد نحتج على العالم الذي صوره همنغواي واعاد خلقه بانه عالم ناقص قاصر .أجل ،ان من الواجب علينا ان نحتج عليه ، فهو ليس العالم الذي نود ان نعيش فيه ، ونحن عادة نعتقد باننا لا نعيش فيه فعلًا .ولكن اذا كان لنا ان نستعرض عصرنا ، فما الحقائق الهامة التي نستطيع ان نجمعها لندحض بها ما فيه من عنف،وشر ،وموت؟ اننا نذكر حروباً «صغيرة» لا حصر لها ، وحربين كبريين ، ونعد انفسنا لليوم الذي نشتبك فيه في مجزرة بشرية لا تترك وراءها اثراً لشيء . اننا قد نحتج على عالم همنغواي،ولكننا لن نجد من السهل اثبات انه ليس العالم الذي نعيش فيه .

ان الوقت لم يحن بعد لنعرف اي هذه العوالم جميعا التي يصفها الكتّاب هو العالم الذي سيثبت لنا اننا كنا نعيش فيه . وهذا متوقف على ما سيحدث ، ولا نستطيع التنبؤ به الآن . وعلى كل حال فان « السلم في عصرنا » كانت نبوءة همنغواي الغامضة الساخرة التي قررها منذ البدء وبقي مستمسكا بها .

ومنذ البدء وعيناه مركزتان على ما يمكن ان يثبت بعد عقود من الان بأنه كان العرض الرئيسي . وعلى الرغم من حدوده الضيقة البينة ، فمن المحتمل ان يعبر بصدق عن كثير من اصدق الاشياء في عصرنا ، وهذه مواد كافية لبناء شهرة ادبية باقية .

مصادر ومراجع مختارة

مؤلفات همنغواي الاساسية

Three Stories and Ten Poems. Paris and Dijon : Contact Publishing Co., 1923.

In Our Time. New York : Boni and Liveright, 1925.

The **Torrents of Spring.** New York : Scribner's, 1926.

The **Sun Also Rises.** New York : Scribner's, 1926.

Men without Women. New York : Scribner's, 1927.

A Farewell to Arms. New York : Scribner's, 1929.

Death in the Afternoon. New York : Scribner's, 1932.

Winner Take Nothing. New York : Scribner's, 1933.

Green Hills of Africa. New York : Scribner's 1935.

To Have and Have Not. New York : Scribner's, 1937.

The Fifth Column and the First Forty-Nine Stories. New York : Scribner's, 1938.

For Whom the Bell Tolls. New York : Scribner's, 1940.

Across the River and into the Trees. New York : Scribner's, 1950

The Old Man and the Sea. New York : Scribner's, 1952.

الطبعات الاميركية المتداولة

A Farewell to Arms. New York : Scribner's Text Edition. $1.95.

For Whom the Bell Tolls. New York : Scribner's Text Edition. $2.75.

Hemingway Reader, Charles Poore, ed. New York : Scribner's Text Edition. $2. 75.

The Short Stories of Ernest Hemingway. New York : Scribner's Text Edition. $2.75.

The Sun Also Rises. New York : Scribner's Text Edition. $1.45.

سير

Baker, Carlos. « A Working Checklist of Hemingway's Prose, Poetry, and Journalism — with Notes, » **Hemingway : The Writer as Artist.** Princeton, N.J. : Princeton University Press, 1952.

Beebe, Maurice. « Criticism of Ernest Hemingway : A Selected Checklist with an Index to Studies of Separate Works, » **Modern Fiction Studies,** 1:36-45 (August 1955).

Samuels, Lee. **A Hemingway Check List.** New York : Scribner's, 1951.

دراسات نقدية وتراجم

Baker, Carlos. Hemingway : **The Writer as Artist.** Princeton, N.J. : Princeton University Press, 1952.

Fenton, Charles A. **The Apprenticeship of Ernest Hemingway.** New York : Farrar, Straus and Young, 1954.

McCaffery, John K. M., ed. **Ernest Hemingway : The Man and His Work.** Cleveland : World, 1950.

Young, Philip. **Ernest Hemingway.** New York : Rinehart, **1952.**

مقـــالات

Beach, Joseph Warren. « How Do You Like It Now, Gentlemen ? » **Sewanee Review**, 59:311-28 (Spring 1951).

Bishop. John Peale. « Homage to Hemingway », New Republic, 89:39-42 (November 11, 1936).

* —. « The Missing All, » **Virginia Quarterly Review, 13:** 107-21 (Winter 1937).

Cowley, Malcolm. « Hemingway and the Hero, » **New Republic,** 101:754-58 (December 4, 1944).

—. « Hemingway at Midnight, » **New Republic, 111:190-95** (August 14, 1944).

* —. « A Portrait of Mister Papa, » **Life,** 26:86-101 (January 10, 1949).

Edel, Leon and Philip Young. « Hemingway and the Nobel Prize » (a debate), **Folio,** 20:18-22 (Spring 1955).

Engstrom, A. G. « Dante, Flaubert and The Snows of Killimanjaro, » **Modern Language Notes,** 65:203-5 (March 1950).

* Frohock, W. M. « Ernest Hemingway : Violence and Discipline, » **Southwest Review,** 32:89-97 and 184-93 (Winter and Spring 1947).

Fussell, Edwin. « Hemingway and Mark Twain, » **Accent, 14:** 199-206 (Summer 1954).

Gordon, Caroline. « Notes on Hemingway and Kafka, » **Sewanee Review,** 57:215-26 (Spring 1949).

* Hemphill, George. « Hemingway and James, » **Kenyon Review,** 11:50-60 (Winter 1949).

Hertzel, Leo J. « Hemingway and the Problem of Belief, » **Catholic World,** 184:29-33 (October 1956).

* Kashkeen, J. « A Tragedy of Craftsmanship, » **International Literature** (U.S.S.R.), no. 5, 1935.

—.« Alive in the Midst of Death, » **Soviet Literature**, no. 7, 1956.

Levin, Harry. « Observations, on the Style of Hemingway, » **Kenyon Review**, 13:581-609 (Autumn 1951).

Lewis, Wyndham. « The Dumb Ox, a Study of Ernest Hemingway, » **American Review**, 6:289-312 (June 1934).

Modern Fiction Studies, vol. 1 (August 1955). Essays on Hemingway by Melvin Backman, Tom Burnam, C. Hugh Holman, Bernard S. Oldsey, H. K. Russell, and Green D. Wyrick.

Plimpton, George. « The Art of Fiction XXI, Ernest Hemingway, » **Paris Review**, 18:61-82 (Spring 1958).

Ross, Lillian. « How Do You Like It Now, Gentlemen ? » **New Yorker**, 26:36-62 (May 13, 1950).

Savage, D.S. « Ernest Hemingway, » **Hudson Review**, 1:380-401 (October 1948).

Schorer, Mark. « Technique as Discovery, » **Forms of Modern Fiction**, William Van O'Connor, ed. Minneapolis : University of Minnesota Press, 1948.

* Schwartz, Delmore. « Ernest Hemingway's Literary Situation, » **Southern Review**, 3:769-82 (April 1938).

Stein, Gertrude. « Ernest Hemingway and the Post-War Decade, » **Atlantic Monthly**, 152:197-208 (August 1933).

Warren, Robert Penn. « Hemingway, » **Kenyon Review**, 9:1-28 (Winter 1947).

—. Introduction to text edition of **A Farewell to Arms.** New York : Scribner's 1949.

West, Ray B. « Ernest Hemingway : Death in the Evening, » **Antioch Review**, 4:569-80 (December 1944).

—. « Ernest Hemingway : The Failure of Sensibility, » **Sewanee Review**, 53:120-35 (Winter 1945).

* Wilson, Edmund. « Ernest Hemingway, Bourbon Gauge of Morale, » **Atlantic Monthly**, 163:36-46 (July 1939).

* All articles preceded by an asterisk are included in Mc-Caffery, **Ernest Hemingway: The Man and His Work.**

ف . ب . (٥٠)

١٩٦١

مطبعة نمنم - شارع بشارة الخوري - بناية نفاع - تلفون : ٢٧٥٢٣

هذا الكتاب

ان اية دراسة تتعرض لأعمال همنغواي القصصية هي بحد ذاتها قصة اخرى ليست اقل امتاعاً لكل من يهتم اهتماماً جاداً باتجاه الادب الحديث . ولعل علاقة همنغواي بالحياة كانت علاقة حميمة مثيرة وملونة ، فمن مغامرات الحرب والملاكمة ومصارعة الثيران وصيد الحيوان والاسماك استلهم همنغواي مادة فنه فكان ذلك النتاج الشامخ الذي جعل منه علماً روائياً متفرد الملامح في أدب اميركا الحديث .

كتاب جدير بالقراءة

منشورات المكتبة الاهلية - بيروت

وكلاء التوزيع في العراق : مكتبة المثنى — بغداد

الثمن :
١٠٠ ق.ل.
١٢٥ ق.س.